على منهاج النّبوّة

سلسلة قصصيّة للأطفال تعلّمهم الدّفاع عن سنّة نبيّهم ﷺ

السلسلة الرابعة

جيل الخلافة

مكتبة الطفل لجيل الخلافة

جيل الخلافة

على منهاج النّبوّة

سلسلة قصصيّة للأطفال تعلّمهم الدّفاع عن سنّة نبيّهم ﷺ

السلسلة الرابعة

إعداد وتصميم

فريق مكتبة الطفل لجيل الخلافة

مقدمة الكتاب

بِسْمِ اللَّهِ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَىٰ رَسُولِ اللَّهِ، وَعَلَىٰ آلِهِ وَصَحْبِهِ وَمَنْ اهْتَدَىٰ بِهَدْيِهِ وَاسْتَنَّ بِسُنَّتِهِ إِلَىٰ يَوْمِ الدِّينِ، أَمَّا بَعْدُ:

فَلِأَنَّنَا نُؤْمِنُ أَنَّ تَرْبِيَةَ الْأَبْنَاءِ وَاجْتِمَاعَهُمْ عَلَىٰ مِنْهَاجِ النُّبُوَّةِ وَمَا حَمَلَهُ لَنَا الصَّحَابَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ مِنْ عِلْمٍ وَأَدَبٍ، هُوَ السَّبِيلُ لِتَحْقِيقِ سَعَادَةِ الْمُسْلِمِينَ وَسِيَادَتِهِمْ وَالْفَوْزِ الْعَظِيمِ، فَإِنَّنَا نُقَدِّمُ فِي هَذِهِ السِّلْسِلَةِ الْقَصَصِيَّةِ الْجَدِيدَةِ بَاقَةً مِنَ الْقَصَصِ التَّرْبَوِيَّةِ، الَّتِي تُرَسِّخُ مَفْهُومَ الِاسْتِقَامَةِ كَمَا أَمَرَ اللَّهُ تَعَالَىٰ، بِاتِّبَاعِ سُنَّةِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَالدِّفَاعِ عَنْهَا، الَّذِي يَكُونُ بِالْتِزَامِهَا وَالدَّعْوَةِ إِلَيْهَا، وَالتَّرَفُّعِ عَنْ كُلِّ بِدْعَةٍ وَمُخَالَفَةٍ، وَانْحِرَافٍ عَنْ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ.

وَبِهَذَا الْحَثِّ عَلَىٰ حُسْنِ اتِّبَاعِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، نَضَعُ أَبْنَاءَ الْمُسْلِمِينَ فِي الطَّرِيقِ الصَّحِيحِ، طَرِيقِ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ، طَرِيقِ الْإِخْلَاصِ وَالتَّقْوَىٰ وَالتَّوْحِيدِ وَالسُّنَّةِ، الْمُوجِبِ لِلْفُتُوحَاتِ الرَّبَّانِيَّةِ الْجَلِيلَةِ.

نَرْجُو أَنْ تُقَدِّمَ هَذِهِ الْقَصَصُ تَرْبِيَةً لَائِقَةً بِالْجِيلِ الّذي يَقْتَدِي بِنَبِيِّهِ خَاتَمِ الْأَنْبِيَاءِ جَمِيعًا، عَلَيْهِ أَفْضَلُ الصَّلَاةِ وَالسَّلَامُ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ.

د. ليلى حمدان

فهرس الكتاب

01 شيخ الإسلام؛ السّنّيّ الثّائر 04

02 أسد السّنّة؛ رمز الصّبر والثّبات 11

03 مرابط الصّحراء؛ قاهر الجهالة والبدع 19

04 معركة اليرموك؛ فرسان تحت راية النّبي ﷺ 26

05 فإنّ الأرض لله يورثها من يشاء من عباده 33

06 مَدَافِعُ باريس أم قلم ابن باديس 41

07 بنو قريظة؛ خيانة العهد مع الرّسول 49

08 سحر الإعلام؛ حرب على الإسلام 55

09 الصّحابة وإفحام الخوارج 66

10 تداعي الأمم على المسلمين 79

شيخ الإسلام
السّنّيّ الثّائر

بقلم أم جليل مهني

شيخ الإسلام...السّنّي الثّائر

فِي يَوْمٍ جَمِيلٍ مُبَارَكٍ، جَاءَتِ البُشْرَى لِلشَّيْخِ عَبْدِ الحَلِيمِ؛ فَقَدْ وُلِدَ لَهُ صَبِيٌّ بَهِيُّ الطَّلْعَةِ، فَسَمَّاهُ أَحْمَدَ تَقِيَّ الدِّينِ، وَعَزَمَ عَلَى تَعْلِيمِهِ وَتَرْبِيَتِهِ تَرْبِيَةً صَالِحَةً، لِيَكُونَ نَافِعًا لِدِينِهِ وَأُمَّتِهِ.

لَقَدْ كَانَ الشَّيْخُ عَبْدُ الحَلِيمِ عَالِمًا فِي الحَدِيثِ وَالفِقْهِ، وَكَذَلِكَ أَبُوهُ عَبْدُ السَّلَامِ الَّذِي كَانَ مِنَ العُلَمَاءِ الحَنَابِلَةِ البَارِزِينَ.

وَفِي هَذِهِ الأُسْرَةِ ذَاتِ المَكَانَةِ العِلْمِيَّةِ الكَبِيرَةِ، تَرَبَّى الصَّبِيُّ أَحْمَدُ تَقِيُّ الدِّينِ وَتَرَعْرَعَ. وَعِنْدَمَا بَلَغَ السَّابِعَةَ مِنْ عُمُرِهِ، حَدَثَ أَمْرٌ أَلَمَّ بِأُمَّةِ الإِسْلَامِ، فَقَدْ غَزَا التَّتَارُ تِلْكَ البِلَادَ، وَبَدَأُوا يُعِيثُونَ فِيهَا فَسَادًا.

فَهَاجَرَتْ أُسْرَةُ أَحْمَدَ إِلَى دِمَشْقَ، وَهُنَاكَ بَدَأَ الشَّيْخُ عَبْدُ الحَلِيمِ بْنُ عَبْدِ السَّلَامِ فِي إِلْقَاءِ الدُّرُوسِ بِالمَسْجِدِ الأُمَوِيِّ، كَمَا تَوَلَّى التَّدْرِيسَ فِي مَدْرَسَةِ الحَدِيثِ السُّكَّرِيَّةِ.

أَمَّا أَحْمَدُ فَقَدْ بَدَتْ عَلَيْهِ مَظَاهِرُ الذَّكَاءِ وَالنُّبُوغِ مُنْذُ الصِّغَرِ، حَيْثُ حَفِظَ القُرْآنَ الكَرِيمَ أَوَّلًا، ثُمَّ أَبْحَرَ فِي مُخْتَلِفِ العُلُومِ، وَبَدَأَ رِحْلَتَهُ فِي طَلَبِ العِلْمِ مَعَ وَالِدِهِ، وَكَثِيرٍ مِنْ عُلَمَاءِ دِمَشْقَ.

وَمَا إِنْ وَصَلَ سِنَّ السَّابِعَةَ عَشْرَةَ حَتَّى صَارَ عَالِمًا فَقِيهًا، يُلْقِي الدُّرُوسَ مَعَ وَالِدِهِ فِي المَسْجِدِ الأُمَوِيِّ.

وَقَدِ امْتَازَ بِالشَّجَاعَةِ الفِكْرِيَّةِ وَالاسْتِقْلَالِ فِي الرَّأْيِ، أَمَّا عِلْمُهُ وَفِقْهُهُ فَقَدْ كَانَ لَهُ أَثَرٌ بَالِغٌ عَلَى شَخْصِيَّتِهِ، وَتَرْبِيَتِهِ الإِيمَانِيَّةِ.

فَمَنْ مِنَّا لَا يَعْرِفُ أَحْمَدَ تَقِيَّ الدِّينِ ا بْنَ تَيْمِيَّةَ؛ العَالِمَ الزَّاهِدَ الوَرِعَ؟!

عِنْدَمَا بَلَغَ أَحْمَدُ بْنُ تَيْمِيَّةَ سِنَّ الثَّانِيَةِ وَالعِشْرِينَ، تُوُفِّيَ وَالِدُهُ عَبْدُ الحَلِيمِ بْنُ عَبْدِ السَّلَامِ، فَتَوَلَّى أَمْرَ مَدْرَسَةِ الحَدِيثِ السُّكَّرِيَّةِ خَلَفًا لَهُ.
وَهَكَذَا بَدَأَ عِلْمُ ابْنِ تَيْمِيَّةَ فِي الِانْتِشَارِ مُنْذُ أَنْ كَانَ شَابًّا يَافِعًا، فَقَدْ كَانَ مُدَرِّسًا وَمُفْتِيًا وَمُؤَلِّفًا لِلكُتُبِ.

وَلَكِنَّ الشَّابَّ الفَقِيهَ لَمْ يَكُنْ كَمِثْلِهِ مِنَ العُلَمَاءِ، فَقَدْ تَمَيَّزَ عَنْهُمْ فِي كَثِيرٍ مِنَ الأُمُورِ، وَأَوَّلُهَا شَجَاعَتُهُ الكَبِيرَةُ فِي قَوْلِ الحَقِّ، وَمُحَارَبَتُهُ لِلبِدَعِ، وَالفِرَقِ المُنْحَرِفَةِ عَنْ فَهْمِ الكِتَابِ وَالسُّنَّةِ النَّبَوِيَّةِ الشَّرِيفَةِ، وَهَذَا مَا سَبَّبَ لَهُ العِدَاءَ، وَالكَثِيرَ مِنَ المُضَايَقَاتِ مِنْ طَرَفِ خُصُومِهِ، وَسُجِنَ بِسَبَبِ ذَلِكَ عِدَّةَ مَرَّاتٍ.

وَفِي فَتْرَةٍ مِنَ الفَتَرَاتِ الأَلِيمَةِ عَلَى أُمَّةِ الإِسْلَامِ، اجْتَاحَ التَّتَارُ بِلَادَ الشَّامِ، وَمِنْهَا دِمَشْقُ؛ فَعَاثُوا فِيهَا فَسَادًا، حَيْثُ سَرَقُوا وَسَلَبُوا أَمْلَاكَ النَّاسِ، وَسَلَّطُوا عَلَيْهِمْ ظُلْمًا عَظِيمًا، رَغْمَ ادِّعَائِهِمْ أَنَّهُمْ صَارُوا مُسْلِمِينَ.

غَضِبَ أَحْمَدُ ابْنُ تَيْمِيَّةَ مِنْ هَذَا الحَالِ، إِذْ إِنَّهُ لَمْ يَكْتَفِ بِالتَّدْرِيسِ وَالوَعْظِ، بَلْ كَانَ يَحْمِلُ هَمَّ أُمَّتِهِ وَدِينِهِ فِي قَلْبِهِ؛ فَانْتَفَضَ وَاجْتَمَعَ مَعَ أَعْيَانِ دِمَشْقَ، وَسَارُوا إِلَى "غَزَان خَان" سُلْطَانِ المَغُولِ، لِأَخْذِ الأَمَانِ لِلْبِلَادِ وَأَهْلِهَا، وَالكَفِّ عَنْ هَذَا الظُّلْمِ.

وَعِنْدَ اللِّقَاءِ، بَرَزَتْ شَجَاعَةُ العَالِمِ التَّقِيِّ ابْنِ تَيْمِيَّةَ، الَّذِي لَا يَخْشَى قَوْلَ كَلِمَةِ الحَقِّ عِنْدَ سُلْطَانٍ جَائِرٍ ظَالِمٍ. فَبَادَرَ بِقَوْلِهِ لِلسُّلْطَانِ المَغُولِيِّ:

_ إِنَّكَ تَزْعُمُ أَنَّكَ مُسْلِمٌ، وَمَعَكَ قُضَاةٌ، وَإِمَامٌ، وَمُؤَذِّنُونَ، وَلَكِنَّكَ غَزَوْتَنَا وَاعْتَدَيْتَ عَلَيْنَا، وَقَدْ قَتَلْتُمُ النَّاسَ، وَأَخَذْتُمُ الأَمْوَالَ، وَفَعَلْتُمْ مَا يَفْعَلُهُ الكُفَّارُ. فَأَيْنَ الإِسْلَامُ الَّذِي تَدَّعِيهِ؟!!

كَانَتْ كَلِمَاتُ ابْنِ تَيْمِيَّةَ مِثْلَ القَنَابِلِ تَخْرُجُ مِنْ مَدْفَعِ الحَقِّ فَتُصِيبُ، وَأَثَّرَ كَلَامُهُ عَلَى "غَزَانَ خَانَ"، مِمَّا جَعَلَهُ يُعْجَبُ بِشَجَاعَتِهِ، وَجُرْأَتِهِ فِي قَوْلِ الحَقِّ، وَاسْتَجَابَ لِبَعْضِ مَطَالِبِهِ فِي كَفِّ الظُّلْمِ عَنْ أَهْلِ البِلَادِ.
وَبَعْدَ هَذِهِ الحَادِثَةِ، ذَاعَ صِيتُ ابْنِ تَيْمِيَّةَ لَيْسَ كَعَالِمٍ وَاعِظٍ فَحَسْبُ، بَلْ كَرَجُلِ دِينٍ يَحْمِلُ هَمَّ أُمَّتِهِ وَشَعْبِهِ، وَيُنَاضِلُ مِنْ أَجْلِ نُصْرَتِهِمْ، لَا يَخْشَى فِي ذَلِكَ لَوْمَةَ لَائِمٍ.

وَلَكِنَّ التَّتَارَ لَمْ يَلْتَزِمُوا بِالعُهُودِ، وَرَجَعُوا إِلَى مَا كَانُوا عَلَيْهِ مِنَ الظُّلْمِ، فَحَرَّضَ ابْنُ تَيْمِيَّةَ النَّاسَ عَلَى جِهَادِهِمْ، وَقَدْ شَارَكَ هُوَ بِنَفْسِهِ فِي مَعْرَكَةِ "شَقْحَبَ"، الَّتِي انْتَصَرَ فِيهَا المَمَالِيكُ عَلَيْهِمْ.

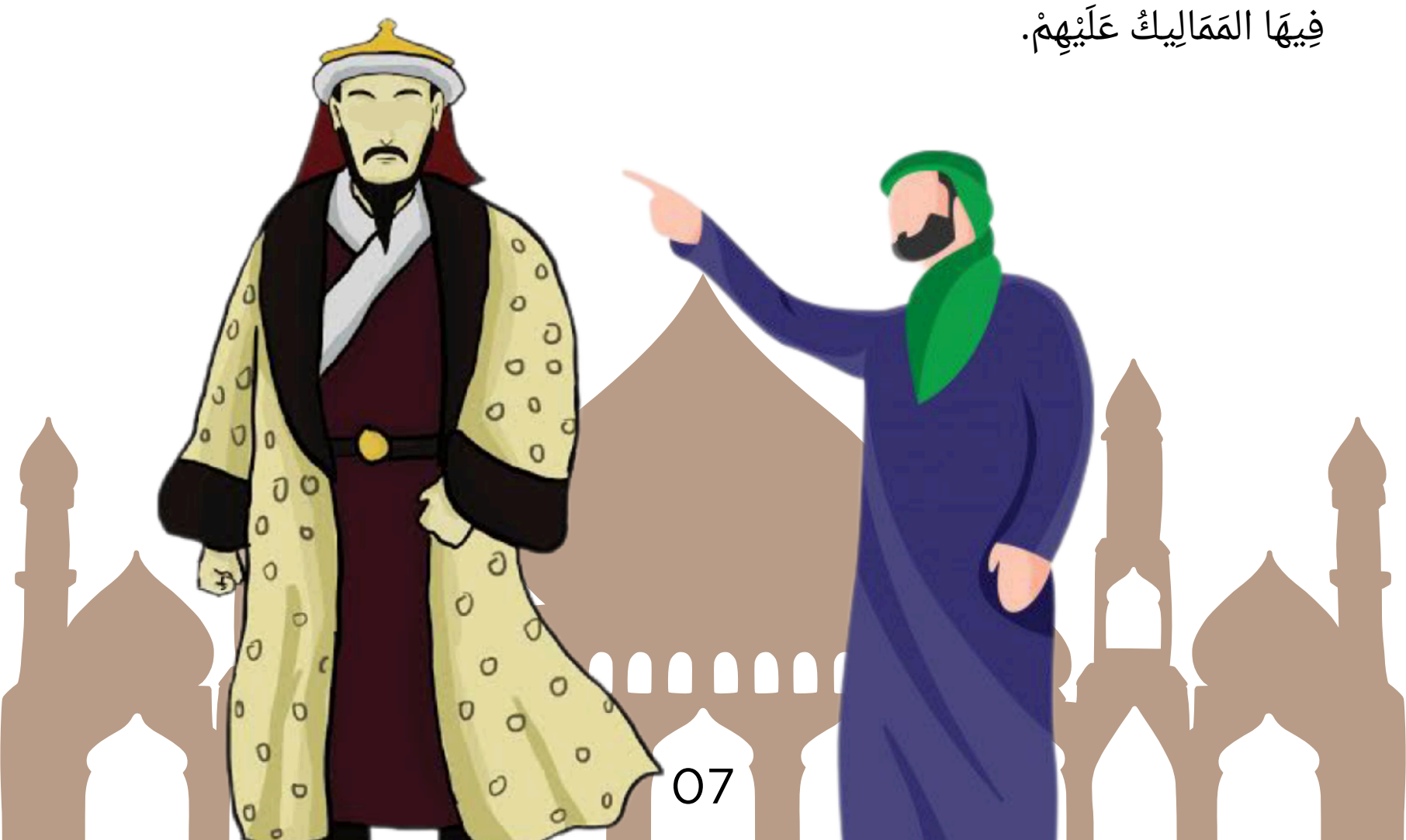

وَعَادَ ابْنُ تَيْمِيَّةَ إِلَى التَّدْرِيسِ، وَتَعْلِيمِ النَّاسِ دِينَهُمْ، وَمُحَارَبَتِهِ لِلبِدَعِ وَأَهْلِهَا. وَمَا زَالَ يَتَعَرَّضُ لِلْأَذَى وَالمُضَايَقَاتِ، حَتَّى سُجِنَ آخِرَ مَرَّةٍ فِي قَلْعَةِ دِمَشْقَ.

وَبَيْنَ جُدْرَانِ السِّجْنِ الضَّيِّقِ، ظَنَّ خُصُومُهُ أَنَّهُمْ تَخَلَّصُوا مِنْهُ، وَلَكِنَّ العَالِمَ النِّحْرِيرَ جَعَلَ مِنْ ضِيقِ السِّجْنِ وَظَلَامِهِ جَنَّةً وَارِفَةً، حَيْثُ قَضَى أَوْقَاتَهُ فِي العِبَادَةِ، وَقِرَاءَةِ القُرْآنِ، وَمُطَالَعَةِ الكُتُبِ، وَالتَّأْلِيفِ، وَحَتَّى الفَتْوَى، حَيْثُ كَانَتْ تَصِلُهُ الأَسْئِلَةُ الفِقْهِيَّةُ مِنْ خَارِجِ السِّجْنِ.

فَاغْتَاظَ الخُصُومُ لِذَلِكَ، وَمَا زَالَ التَّضْيِيقُ عَلَيْهِ حَتَّى تَمَّتْ مُصَادَرَةُ كُلِّ مَا يَمْلِكُهُ مِنَ الكُتُبِ، وَأَدَوَاتِ الكِتَابَةِ، مِنْ أَجْلِ مَنْعِهِ مِنْ نَشَاطِهِ بِشَكْلٍ نِهَائِيٍّ.

وَلَكِنَّ أَهْلَ الهِمَّةِ العَالِيَةِ لَا شَيْءَ يُوقِفُهُمْ، فَهُمْ كَالسَّيْلِ لَا سَبِيلَ لِإِعَاقَتِهِ. فَشَرَعَ فِي الكِتَابَةِ بِالفَحْمِ عَلَى بَعْضِ الأَوْرَاقِ المُتَنَاثِرَةِ.

وَفِي يَوْمٍ حَزِينٍ، ذَاعَ خَبَرُ وَفَاةِ الشَّيْخِ أَحْمَدَ تَقِيِّ الدِّينِ ابْنِ تَيْمِيَّةَ، بَعْدَ مُعَانَاتِهِ مِنَ المَرَضِ لِمُدَّةِ ثَلَاثَةِ أَسَابِيعَ.
وَكَانَتْ جَنَازَتُهُ مَهِيبَةً جِدًّا، فَقَدْ شَهِدَهَا مِنَ الرِّجَالِ مَا بَيْنَ سِتِّينَ إِلَى مِئَةِ أَلْفِ رَجُلٍ بَلْ أَكْثَرَ، وَمِنَ النِّسَاءِ خَمْسَةَ عَشَرَ أَلْفَ امْرَأَةٍ، عَدَا مَنْ كُنَّ عَلَى الأَسْطُحِ.

رَحِمَ اللَّهُ شَيْخَ الإِسْلَامِ؛ السُّنِّيَّ الثَّائِرَ، الَّذِي أَعْطَى لِلأَجْيَالِ المُتَعَاقِبَةِ مِثَالًا لِلْعَالِمِ الزَّاهِدِ الوَرِعِ، الَّذِي لَا يَكْتَفِي بِالوَعْظِ، بَلْ يَحْمِلُ هَمَّ أُمَّتِهِ مُجَاهِدًا جَرِيئًا فِي قَوْلِ الحَقِّ، صَابِرًا مُحْتَسِبًا.
فَتَحَوَّلَتْ حَيَاتُهُ رَغْمَ الأَلَمِ إِلَى جَنَّةٍ فِي قَلْبِهِ، وَقَدْ جَسَّدَ هَذَا المَعْنَى كَلِمَاتُهُ الَّتِي سَتَبْقَى خَالِدَةً فِي قَلْبِ كُلِّ مُسْلِمٍ حُرٍّ:

"مَاذَا يَفْعَلُ أَعْدَائِي بِي؟! إِنَّ سِجْنِي خَلْوَةٌ، وَقَتْلِي شَهَادَةٌ، وَنَفْيِي سِيَاحَةٌ."

وَاحَةُ السُّنَّةِ

الاحتفال بالكريسماس

أَبْنَائِي الْأَحِبَّاءُ، إِنَّ الِاحْتِفَالَ بِالْكِرِيسْمَاس أَوْ رَأْسِ السَّنَةِ الْمِيلَادِيَّةِ؛ هُوَ عَادَةٌ دَخِيلَةٌ عَلَى الْمُسْلِمِينَ، فِيهَا اتِّبَاعٌ لِأَهْلِ الْكِتَابِ وَمَنْ لَا دِينَ لَهُ، وَقَدْ أَجْمَعَ الْعُلَمَاءُ عَلَى حُرْمَةِ وَعَدَمِ جَوَازِ هَذِهِ الِاحْتِفَالَاتِ، أَوِ التَّهْنِئَةِ بِهَا.

قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

(مَنْ أَحْدَثَ فِي أَمْرِنَا هَذَا مَا لَيْسَ مِنْهُ فَهُوَ رَدٌّ)

رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ

فَلْنَكُنْ أَبْنَائِي مِنْ أَهْلِ السُّنَّةِ حَقًّا؛ نَتَّبِعُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَسَلَفَنَا الصَّالِحَ فِي كُلِّ شَيْءٍ.

على منهاج النّبوّة

أسد السنة
رمز الصبر والثّبات

بقلم أم جليل مهني

أَسَدُ السُّنَّةِ... رَمزُ الصَّبْرِ والثَّبَاتِ

ذَاتَ يَومٍ، تَوَجَّهَ مُحَمَّدٌ إِلَى وَالِدِ صَفِيَّةَ، تِلكَ الفَتَاةِ المُؤمِنَةِ التَّقِيَّةِ، لِيَخطِبَهَا مِنهُ. وَقَدْ كَانَ يَومَهَا جُندِيًّا فِي الجَيشِ العَبَّاسِيِّ.

وَلِأَنَّهُ شَابٌّ تَقِيٌّ وَرِعٌ، فَقَدْ وَافَقَ أَبُوهَا عَلَى تَزويجِهِ إِيَّاهَا، وَبَارَكَ اللهُ الزَّوَاجَ، وَأَنجَبَتْ صَفِيَّةُ وَلَدًا بَهِيَّ الطَّلعَةِ، سُمِّيَ أَحمَدًا.

وَلَكِنَّ الحَيَاةَ لَا يَدُومُ صَفَاؤُهَا لِأَحَدٍ، فَقَدْ مَاتَ مُحَمَّدٌ وَهُوَ فِي سِنِّ الثَّلَاثِينَ، تَارِكًا وَرَاءَهُ زَوجَتَهُ صَفِيَّةَ، وَابنَهُ أَحمَدَ رَضِيعًا.
وَمَاتَ جَدُّهُ حَنبَل فِي نَفسِ السَّنَةِ، وَبَقِيَ أَحمَدُ وَحِيدًا مَعَ وَالِدتِهِ صَفِيَّةَ، ذَاتَ الخَمسَةِ وَالعِشرِينَ رَبِيعًا.

صَفِيَّةُ التَّقِيَّةُ، المَرأَةُ القَوِيَّةُ بِإِيمَانِهَا وَصِدقِهَا مَعَ رَبِّهَا.
لَمْ تَيأَسْ وَلَمْ تَرضَخْ لِصُعُوبَةِ الحَيَاةِ وَشَظَفِ العَيشِ، بَلْ حَمَلَتِ المِشعَلَ، وَقَرَّرَتْ أَن تَكُونَ امْرَأَةً بِأُمَّةٍ، يَومَ أَن عَزَمَتْ عَلَى تَربِيَةِ ابنِهَا أَحمَدَ، وَتَعلِيمِهِ وَتَأدِيبِهِ، لِيَكُونَ مُصلِحَ الأُمَّةِ وَإِمَامَهَا.

كَانَتْ صَفِيَّةُ تَقضِي وَقتَهَا فِي الخِيَاطَةِ، تُخِيطُ لِلنَّاسِ مُقَابِلَ أُجرَةٍ زَهِيدَةٍ تَتَقَوَّتُ بِهَا، وَتُطعِمُ ابنَهَا. وَلَمْ يَشغَلهَا ذَلِكَ عَن تَربِيَةِ أَحمَدَ، وَتَلقِينِهِ الأَخلَاقَ الفَاضِلَةَ.

فَقَدْ كَانَتْ تُرَافِقُهُ إِلَى المَسجِدِ لِأَدَاءِ صَلَاةِ الفَجرِ، وَتَقِفُ عَلَى بَابِ المَسجِدِ تَنتَظِرُهُ حَتَّى يَفْرُغَ مِن صَلَاتِهِ، لِتَرجِعَ بِهِ إِلَى البَيتِ.

وَفِي أَيَّامِ الشِّتَاءِ البَارِدَةِ، كَانَتْ تَقُومُ قَبلَ الفَجرِ تَحمِي لَهُ المَاءَ لِيَتَوَضَّأَ، وَتُرَافِقُهُ إِلَى المَسجِدِ كَعَادَتِهَا، لَا يَقِفُ فِي طَرِيقِ الطَّاعَةِ لِلَّهِ لَا حَرُّ الصَّيفِ، وَلَا قَرُّ الشِّتَاءِ.

وَكَبُرَ أَحمَدُ وَكَبُرَتْ فِيهِ الأَخلَاقُ الفَاضِلَةُ، وَحُبُّهُ لِلعِلمِ وَالعِبَادَةِ؛ فَحَفِظَ القُرآنَ الكَرِيمَ وَهُوَ ابنُ سَبعِ سِنِينَ، وَكَانَ يَحضُرُ مَجَالِسَ العِلمِ مُنذُ الصِّغَرِ، وَعُرِفَ بِذَكَائِهِ وَشِدَّةِ حِفظِهِ وَقُوَّةِ إِيمَانِهِ وَوَرَعِهِ، حَتَّى إِنَّ أَحَدَ الآبَاءِ الأَغنِيَاءِ، كَانَ يَقُولُ عَنهُ وَهُوَ ابنُ أَربَعَ عَشْرَةَ سَنَةً:
ـ إِنِّي أُنفِقُ عَلَى أَولَادِي، وَأَجِيئُهُم بِالمُؤَدِّبِينَ لِكَي يَتَأَدَّبُوا فَمَا أَرَاهُم يُفلِحُونَ، وَهَذَا أَحمَدُ بنُ حَنبَلٍ غُلَامٌ يَتِيمٌ، انظُرُوا كَيفَ يَخرُجُ.

لَمْ يَعلَمْ أَنَّ القَضِيَّةَ لَيسَتْ فِي المَالِ أَوِ الجَاهِ، وَلَكِنَّ القَضِيَّةَ قَضِيَّةُ صِدقٍ وَقَرَ فِي القَلبِ، فَأَزهَرَ فِيهِ، وَأَنبَتَ نَبَاتًا طَيِّبًا.

وَلَمَّا بَلَغَ أَحمَدُ سِنَّ السَّادِسَةَ عَشْرَةَ، سَمَحَتْ لَهُ وَالِدتُهُ بِالسَّفَرِ إِلَى البُلْدَانِ وَالأَمْصَارِ لِطَلَبِ العِلْمِ، وَلَكِنَّ أَحمَدَ كَانَ فَقِيرًا جِدًّا؛ لَا يَملِكُ زَادًا وَلَا رَاحِلَةً، وَلَيسَ لَهُ صَاحِبٌ يُرَافِقُهُ فِي السَّفَرِ.

فَصَنَعَتْ لَهُ تِلكَ الأُمُّ العَظِيمَةُ عَشَرَةَ أَرغِفَةٍ، وَقَالَتْ لَهُ:
ـ هَذَا زَادُكَ، وَرِجلُكَ رَاحِلَتُكَ، أَمَّا رَفِيقُكَ فَهُوَ اللَّهُ.

وَضَرَبَ أَحمَدُ فِي الأَرضِ يَطلُبُ العِلْمَ، وَيَجمَعُ الحَدِيثَ، حَتَّى أَخَذَ عِلْمَ العِرَاقِ، وَعِلْمَ اليَمَنِ، وَعِلْمَ الحِجَازِ، وَلَمْ يَترُكْ مَكَانًا وَلَا عَالِمًا إِلَّا قَصَدَهُ، وَأَخَذَ عِلمَهُ.

وَلَمْ يَكُنْ فِي زَمَانِهِ مُحَدِّثٌ وَلَا جَامِعٌ لِلسُّنَّةِ أَنبَغَ مِنهُ، فَقَدْ جَمَعَ أَكثَرَ مِن أَربَعِينَ أَلفَ حَدِيثٍ فِي مُسنَدِهِ، وَكَانَ يَحفَظُ أَلفَ أَلفِ حَدِيثٍ، فَهُوَ فَقِيهُ المُحَدِّثِينَ وَمُحَدِّثُ الفُقَهَاءِ.

فِي عَهدِ الخَلِيفَةِ العَبَّاسِيِّ المَأمُونِ بنِ هَارُونَ الرَّشِيدِ، حَدَثَ شَيءٌ رَهِيبٌ.
حَيثُ إِنَّ فِرقَةً ضَالَّةً فَاسِدَةَ المُعتَقَدِ، اِسمُهَا المُعتَزِلَةُ، بَدَأَتْ تَتَقَرَّبُ إِلَى الخَلِيفَةِ وَتَتَوَدَّدُ إِلَيهِ، وَتَستَغِلُّ حُبَّهُ لِلفَلسَفَةِ وَالمَنطِقِ، مِن أَجلِ أَن تَنفُثَ سُمُومَهَا، وَمَا زَالَتْ عَلَى ذَلِكَ الحَالِ حَتَّى قَرَّبَهَا الخَلِيفَةُ إِلَيهِ، وَجَعَلَهَا مِن بِطَانَتِهِ، وَتَبَنَّى أَفكَارَهَا الضَّالَّةَ، وَبَدَأَ يَفرِضُهَا عَلَى العُلَمَاءِ وَالرَّعِيَّةِ.

لَقَدْ كَانُوا يَقُولُونَ إِنَّ القُرآنَ مَخلُوقٌ وَلَيسَ كَلَامَ اللَّهِ، فَاللَّهُ لَا يَتَكَلَّمُ.
وَهَذَا الكَلَامُ خَطِيرٌ جِدًّا؛ فَهُوَ كُفرٌ وَضَلَالٌ، فَلَوْ كَانَ القُرآنُ مَخلُوقًا كَمَا يَقُولُونَ، لَكَانَ قَابِلًا لِلمَوتِ وَالفَنَاءِ، وَيَصِيرُ بِذَلِكَ غَيرَ صَالِحٍ لِكُلِّ زَمَانٍ. وَلَكِنَّهُ كَلَامُ اللَّهِ، أَنزَلَهُ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ، عَن طَرِيقِ المَلَكِ جِبرِيلَ عَلَيهِ السَّلَامُ.

دَعَا الخَلِيفَةُ المَأمُونُ الكَثِيرَ مِنَ العُلَمَاءِ إِلَى بِلَاطِهِ، وَفَرَضَ عَلَيهِم عَقِيدَتَهُ الجَدِيدَةَ.
وَتَحتَ وَطأَةِ الإِكرَاهِ وَالتَّعذِيبِ اِستَجَابَ كَثِيرٌ مِنهُم.

ثُمَّ دَعَا الإِمَامَ أَحمَدَ بنَ حَنبَل إِلَيهِ حَتَّى يُجبِرَهُ عَلَى تَبَنِّي تِلكَ العَقِيدَةِ الضَّالَّةِ، وَلَكِنَّ اللَّهَ قَدَّرَ أَن يَمُوتَ الخَلِيفَةُ المَأمُونُ قَبلَ أَن يَصِلَ إِلَيهِ الإِمَامُ أَحمَدُ.
فَأَوْصَى الْخَلِيفَةُ مَنْ بَعْدَهُ قَبْلَ خُرُوجِ رُوحِهِ بِتَبَنِّي عَقِيدَتِهِ، وَإِرْغَامِ النَّاسِ عَلَيْهَا.
فَنَفَّذَ خَلِيفَتُهُ الْمُعْتَصِمُ وَصِيَّتَهُ، وَدَعَا إِلَيْهِ الْإِمَامَ أَحْمَدَ بْنَ حَنْبَلٍ، الَّذِي وَقَفَ كَالْأَسَدِ الرَّابِضِ فِي عَرِينِهِ، لَا يَخَافُ مِنْ هَذَا الْخَلِيفَةِ الَّذِي طَغَى.

وَأَقْبَلَ الْمُعْتَصِمُ عَلَى الْإِمَامِ يَسْأَلُهُ:
_ يَا أَبَا عَبْدِ اللَّهِ، مَا تَقُولُ فِي الْقُرْآنِ؟ أَهُوَ مَخْلُوقٌ أَمْ غَيْرُ مَخْلُوقٍ؟
فَأَجَابَهُ الْإِمَامُ أَحْمَدُ فِي عِزَّةٍ وَإِبَاءٍ:
_ الْقُرْآنُ كَلَامُ اللَّهِ، غَيْرُ مَخْلُوقٍ.
وَهُنَا غَضِبَ الْمُعْتَصِمُ، وَأَصَرَّ عَلَى ضَلَالِهِ، وَأَزْبَدَ وَأَرْعَدَ وَقَالَ:
_ أَلَا تُوَافِقُنَا عَلَى قَوْلِنَا؟ إِنَّ الْقُرْآنَ مَخْلُوقٌ.
فَقَالَ الْإِمَامُ أَحْمَدُ، الْعَالِمُ الزَّاهِدُ:
_ هَاتِ شَيْئًا مِنْ كِتَابِ اللَّهِ، أَوْ سُنَّةِ رَسُولِهِ أَقُولُ بِهِ.

وَهُنَا تَلَعْثَمَ الْمُعْتَصِمُ؛ الْخَلِيفَةُ الْجَاهِلُ، وَاسْتَنْجَدَ بِعُلَمَاءِ الْبِلَاطِ مِنَ الْمُعْتَزِلَةِ، لِإِفْحَامِ الْإِمَامِ أَحْمَدَ بِحُجَّةٍ قَوِيَّةٍ، وَلَكِنَّهُمْ فَشِلُوا جَمِيعًا، وَكَيْفَ لِلْبَاطِلِ أَنْ يَصْمُدَ أَمَامَ قَلْعَةِ الْحَقِّ وَأَسْوَارِهَا؟

وَحِينَئِذٍ لَمْ يَجِدِ الْبَاطِلُ طَرِيقَةً لِجَبْرِ كِبْرِيَائِهِ الْمُنْكَسِرِ، إِلَّا الظُّلْمَ وَالتَّجَبُّرَ.
فَهَدَّدَ الْمُعْتَصِمُ إِمَامَ السُّنَّةِ قَائِلًا:
_ يَا أَحْمَد، إِنْ لَمْ تُجِبْنِي إِلَى مَا أَقُولُ لَأَقْتُلَنَّكَ.
فَرَدَّ عَلَيْهِ الْإِمَامُ فِي سَكِينَةٍ وَهُدُوءٍ:
_ افْعَلْ مَا شِئْتَ، لَا أَقُولُ إِلَّا مَا قَالَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ.

وَعِنْدَمَا عَجَزَ الْخَلِيفَةُ عَنْ إِقْنَاعِ أَحْمَدَ بِعَقِيدَتِهِ ، أَمَرَ بِضَرْبِهِ بِالسِّيَاطِ .
فَضُرِبَ الْإِمَامُ ضَرْبًا شَدِيدًا حَتَّى كَانَ يُغْمَى عَلَيْهِ . وَكَانَ يَقُولُ أَثْنَاءَ الْجَلْدِ :
_ اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِقَوْمِي فَإِنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ .

وَكَانَ فِي كُلِّ مَرَّةٍ يُعَنَّفُ فِيهَا وَيُجْلَدُ لِتَبَنِّي عَقِيدَةِ الْمُعْتَزِلَةِ يَقُولُ:
_ " الْقُرْآنُ كَلَامُ اللَّهِ غَيْرُ مَخْلُوقٍ، مَنْ قَالَ بِغَيْرِ ذَلِكَ فَقَدْ ضَلَّ وَأَخْطَأَ " . "إِنَّ الْقُرْآنَ كَلَامُ اللَّهِ أَزَلِيٌّ ، لَمْ يُخْلَقْ وَلَنْ يُخْلَقَ" . "لَا أَرْجِعُ عَنِ الْحَقِّ وَلَوْ قُتِلْتُ".
وَاسْتَمَرَّتْ فِتْنَةُ خَلْقِ الْقُرْآنِ أَكْثَرَ مِنْ سَبْعَةَ عَشَرَ سَنَةً، لَقِيَ فِيهَا الْإِمَامُ أَحْمَدُ أَصْنَافًا مِنَ التَّعْذِيبِ وَالتَّعْنِيفِ، وَوُضِعَ تَحْتَ الرِّقَابَةِ، وَمُنِعَ مِنْ التَّدْرِيسِ وَالْفَتْوَى .

لَكِنَّ الْإِمَامَ أَحْمَدَ بَقِيَ صَامِدًا كَالْجَبَلِ الْأَشَمِّ، فِي وَجْهِ رِيَاحِ الضَّلَالِ؛ يَذُودُ عَنْ سُنَّةِ نَبِيِّهِ بِجَسَدِهِ وَرُوحِهِ، فَكَانَ حَقًّا أَسَدَ السُّنَّةِ الرَّابِضَ فِي عَرِينِهِ.

وَبَعْدَ نِهَايَةِ الْمِحْنَةِ فِي عَصْرِ الْخَلِيفَةِ الْمُتَوَكِّلِ، رَجَعَ الْإِمَامُ أَحْمَدُ إِلَى مَا كَانَ عَلَيْهِ مِنَ الْعِبَادَةِ وَالْعِلْمِ، إِلَّا أَنَّ آثَارَ التَّعْذِيبِ أَثَّرَتْ عَلَى صِحَّتِهِ، وَمَعَ تَقَدُّمِهِ فِي السِّنِّ، اشْتَدَّ مَرَضُهُ حَتَّى مَاتَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَأَرْضَاهُ.

وَكَانَتْ جَنَازَتُهُ مَهِيبَةً جِدًّا، حَيْثُ قِيلَ إِنَّهُ حَضَرَهَا مِائَةُ أَلْفٍ مِنْ أَهْلِ بَغْدَادَ، وَمَا جَاوَرَهَا.

وَفَقَدَتِ الْأُمَّةُ يَوْمَهَا عَلَمًا مِنْ أَعْلَامِهَا، فَقَدْ حَفِظَ اللَّهُ بِهِ الدِّينَ يَوْمَ الْمِحْنَةِ، كَمَا حَفِظَ اللَّهُ الدِّينَ بِأَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ يَوْمَ الرِّدَّةِ.

فَلِلَّهِ دَرُّكَ يَا أَسَدَ السُّنَّةِ، يَا رَمْزَ الصَّبْرِ وَالثَّبَاتِ، يَوْمَ حَفِظْتَ سُنَّةَ رَسُولِ اللَّهِ، وَذُدْتَ عَنْ دِينِ اللَّهِ بِجَسَدِكَ وَرُوحِكَ. وَلِلَّهِ دَرُّكِ يَا أُمَّ أَحْمَدَ، يَوْمَ تَعِبْتِ وَبَذَلْتِ، وَصَبَرْتِ وَرَبَّيْتِ ذَاكَ الْفَتَى، الَّذِي صَارَ الْيَوْمَ إِمَامَ الْأُمَّةِ وَمُصْلِحَهَا.

وَلِلَّهِ دَرُّ مَنْ اقْتَفَى أَثَرَ الْإِمَامِ أَحْمَدَ فِي نُصْرَةِ السُّنَّةِ، وَدَفْعِ الْبِدَعِ وَالضَّلَالِ.
فَهُنَا الْبَذْلُ، وَالْمُلْتَقَى الْحَوْضُ، حَيْثُ ضَرَبَ لَنَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَوْعِدًا.

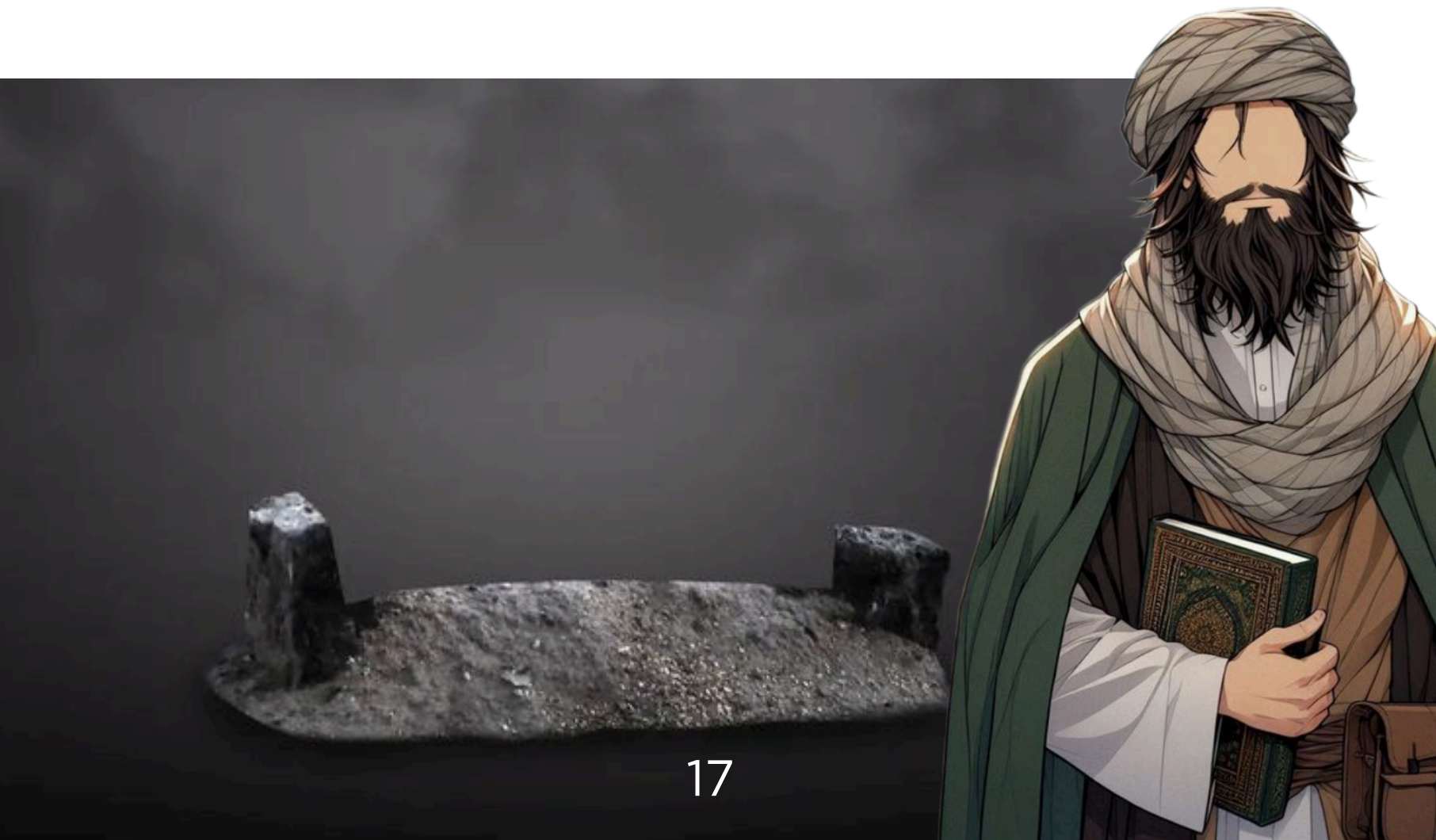

وَاحَةُ السُّنَّةِ

الحلف بغير الله

عَادَةُ الْحِلْفِ بِغَيْرِ اللَّهِ هِيَ مِنَ الْعَادَاتِ الْمُنْتَشِرَةِ فِي بَعْضِ الْمُجْتَمَعَاتِ، وَهِيَ عَادَةٌ مُنْكَرَةٌ تَتَنَافَى مَعَ تَوْحِيدِ اللَّهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى. فَإِنَّ الْحِلْفَ يَعْنِي تَعْظِيمَ الْمَحْلُوفِ بِهِ، وَلَا يَجُوزُ أَنْ يُعَظَّمَ إِلَّا اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ.

قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: "مَنْ كَانَ حَالِفًا فَلْيَحْلِفْ بِاللَّهِ أَوْ لِيَصْمُتْ" (رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ). وَقَالَ ﷺ: "مَنْ حَلَفَ بِغَيْرِ اللَّهِ فَقَدْ كَفَرَ أَوْ أَشْرَكَ" (رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ وَأَبُو دَاوُدَ).

وَعَلَى الْمُسْلِمِ أَنْ يَتَخَلَّصَ مِنْ هَذِهِ الْعَادَةِ، وَأَنْ يُوَجِّهَ أَقْسَامَهُ لِلَّهِ وَحْدَهُ، تَعْظِيمًا وَإِجْلَالًا لَهُ، وَاحْتِرَازًا مِنَ الشِّرْكِ الْأَصْغَرِ الَّذِي يُؤَدِّي إِلَى ضَعْفِ الْإِيمَانِ.

مرابط الصّحراء...
قاهر الجهالة والبدع

بقلم أم جليل مهني

مُرَابِطُ الصَّحْرَاءِ... قَاهِرُ الْجَهَالَةِ وَالْبِدَعِ

كَانَ الشَّابُّ "عَبْدُ اللَّهِ" مُحِبًّا لِلْعِلْمِ، لَا يَتَوَانَى فِي طَلَبِهِ، فَقَدْ لَبِثَ فِي الْأَنْدَلُسِ سَبْعَ سِنِينَ، تَعَلَّمَ فِيهَا مُخْتَلِفَ الْعُلُومِ، وَرَجَعَ إِلَى مَوْطِنِهِ فِي تُخُومِ صَحْرَاءِ سُوس بِالْمَغْرِبِ.

وَهَا هُوَ ذَا يُلَازِمُ حَلْقَةَ شَيْخِهِ "وَجَّاجِ بْنِ زَلُّو اللَّمْطِيِّ"، الْفَقِيهِ الْمَغْرِبِيِّ الَّذِي تَتَلْمَذَ عَلَى يَدِ الْعَالِمِ الْمَالِكِيِّ الْكَبِيرِ "أَبِي عِمْرَانَ الْفَاسِيِّ".

فِي يَوْمٍ مِنَ الْأَيَّامِ أَقْبَلَ الشَّيْخُ "وَجَّاجُ" عَلَى طَالِبِهِ النَّجِيبِ "عَبْدِ اللَّهِ"، وَفِي يَدِهِ رِسَالَةٌ، فَأَحَسَّ "عَبْدُ اللَّهِ" بِأَنَّ هُنَاكَ شَيْئًا مُهِمًّا يُرِيدُ أَنْ يُخْبِرَهُ بِهِ، فَاسْتَعَدَّ لِتَلَقِّي الْخَبَرِ.

وَفِي هَذِهِ الْأَثْنَاءِ بَدَأَ الشَّيْخُ "وَجَّاجُ" بِسَرْدِ التَّفَاصِيلِ.

فَمَا هِيَ قِصَّةُ تِلْكَ الرِّسَالَةِ؟ وَمَا الْخَبَرُ؟

لَقَدْ زَارَهُ الْيَوْمَ أَمِيرُ قَبِيلَةِ جدَالَةَ "يَحْيَى بْنُ إِبْرَاهِيمَ" الْقَادِمُ مِنْ عِنْدِ شَيْخِهِ "أَبِي عِمْرَانَ الْفَاسِيِّ" فِي الْقَيْرَوَانِ.

وَقَدْ جَاءَهُ مِنْ هُنَاكَ بِرِسَالَةٍ مِنْهُ، يُطَالِبُهُ فِيهَا بِأَنْ يُرْسِلَ أَحَدَ طَلَبَتِهِ مَعَ الْأَمِيرِ، لِيُعَلِّمَ النَّاسَ فِي قَبِيلَةِ جدَالَةَ دِينَهُمْ.

وَمِمَّا جَاءَ فِي الرِّسَالَةِ:

"....فَابْعَثْ مَعَهُ مِنْ طَلَبَتِكَ مَنْ تَثِقُ بِعِلْمِهِ، وَدِينِهِ، وَوَرَعِهِ، وَحُسْنِ سِيَاسَتِهِ، لِيُقْرِئَهُمُ الْقُرْآنَ، وَيُعَلِّمَهُمْ شَرَائِعَ الْإِسْلَامِ، وَيُفَقِّهَهُمْ فِي دِينِ اللَّهِ، وَلَكَ وَلَهُ فِي ذَلِكَ الثَّوَابُ وَالْأَجْرُ الْعَظِيمُ، وَاللَّهُ لَا يُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا".

كَانَ "عَبْدُ اللَّهِ" يَسْتَمِعُ إِلَى شَيْخِهِ "وَجَّاجٍ" بِاهْتِمَامٍ، وَكَأَنَّهُ يَرْجُو أَنْ يَكُونَ صَاحِبَ الْمُهِمَّةِ، فَأَخْبَرَهُ شَيْخُهُ أَنَّ لَا أَحَدَ أَقْدَرُ عَلَى هَذَا الْأَمْرِ مِنْهُ، وَأَرْسَلَهُ مَعَ الْأَمِيرِ يَحْيَى، مُوصِيًا إِيَّاهُ بِالصَّبْرِ وَالتَّجَلُّدِ، فِي طَرِيقِ الدَّعْوَةِ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى.

وَدَّعَ الطَّالِبُ النَّجِيبُ "عَبْدُ اللَّهِ" شَيْخَهُ "وَجَّاجًا"، وَرَحَلَ عَنْ مَوْطِنِهِ، مُقْبِلًا عَلَى الصَّحْرَاءِ، رَغْمَ شَظَفِ عَيْشِهَا، وَصُعُوبَةِ أَهْلِهَا، تَارِكًا الدُّنْيَا وَرَاءَ ظَهْرِهِ، رَاجِيًا رِضْوَانَ اللَّهِ، وَثَوَابَ الْآخِرَةِ.

وَعِنْدَمَا وَصَلَ إِلَى قَبِيلَةِ جدَالَةَ، رَحَّبُوا بِهِ وَبَالَغُوا فِي إِكْرَامِهِ، وَحُسْنِ ضِيَافَتِهِ.
فَأَسْعَدَهُ ذَلِكَ كَثِيرًا، مِمَّا جَعَلَهُ يُقْبِلُ عَلَى تَعْلِيمِهِمْ، وَتَلْقِينِهِمْ شَرَائِعَ الدِّينِ، وَتَخْلِيصِهِمْ مِنَ الْجَاهِلِيَّةِ الَّتِي غَرِقُوا فِيهَا.

وَكَانَتْ قَبِيلَةُ جدَالَةَ وَاحِدَةً مِنَ الْقَبَائِلِ الصَّنْهَاجِيَّةِ، الْمُنْتَشِرَةِ فِي عُمْقِ الصَّحْرَاءِ، وَالَّتِي انْتَشَرَ فِيهَا الْجَهْلُ وَالْبِدَعُ وَالْبُعْدُ عَنِ الدِّينِ، عَلَى غِرَارِ كُلِّ شِمَالِ إِفْرِيقِيَا، الَّذِي انْقَسَمَ إِلَى دُوَيْلَاتٍ مُتَنَاحِرَةٍ، تَحْكُمُهَا الْأَهْوَاءُ وَالضَّلَالَاتُ، وَتُشَتِّتُ شَمْلَهَا الْعَصَبِيَّةُ وَالْقَبَلِيَّةُ، فَنَسُوا مَا كَانُوا عَلَيْهِ مِنَ الْإِسْلَامِ زَمَنَ الْفَاتِحِينَ.

وَفِي هَذَا الظَّلَامِ الدَّامِسِ، كَانَ لَا بُدَّ مِنْ ظُهُورِ مُجَدِّدٍ، يُجَدِّدُ لِهَذِهِ الْأُمَّةِ دِينَهَا، فِي هَذِهِ الْبُقْعَةِ الْجُغْرَافِيَّةِ.

نَعُودُ إِلَى عَالِمِنَا الْجَلِيلِ، الشَّيْخِ "عَبْدِ اللَّهِ بْنِ يَاسِينَ"، حَيْثُ بَدَأَ يُعَلِّمُ النَّاسَ أَمْرَ دِينِهِمْ، وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرَاتِ وَالْفَوَاحِشِ الَّتِي كَانُوا يَرْتَكِبُونَهَا، فَاسْتَجَابَ لَهُ النَّاسُ فَتْرَةً مِنَ الزَّمَنِ، ثُمَّ مَا لَبِثُوا أَنْ انْقَلَبُوا عَلَيْهِ، حَيْثُ أَنَّهُمْ اسْتَصْعَبُوا تَكَالِيفَ الْإِسْلَامِ، وَضَاقُوا بِهَا ذَرْعًا، فَآذَوْهُ وَطَلَبُوا مِنْهُ أَنْ يَرْحَلَ عَنْ دِيَارِهِمْ، وَإِلَّا أَلْحَقُوا بِهِ السُّوءَ.

فَهَجَرَهُمْ، وَفَكَّرَ بَعْدَهَا مَعَ الْأَمِيرِ "يَحْيَى بْنِ إِبْرَاهِيمَ" وَسَبْعَةٍ مِنَ الرِّجَالِ، أَنْ يَعْتَزِلُوا فِي جَزِيرَةٍ قُرْبَ نَهْرِ السِّنِغَالِ، يَعْبُدُونَ اللَّهَ هُنَاكَ فِي أَمْنٍ وَسَلَامٍ.

وَفِي فَتْرَةٍ وَجِيزَةٍ مِقْدَارُهَا ثَلَاثَةُ أَشْهُرٍ، انْتَشَرَ خَبَرُ الشَّيْخِ "عَبْدِ اللَّهِ بْنِ يَاسِينَ" مَعَ أَتْبَاعِهِ فِي الْجَزِيرَةِ، وَالَّذِينَ سَمَّاهُمُ الْمُرَابِطِينَ، فَبَدَأَ النَّاسُ مِمَّنْ شَرَحَ اللَّهُ صُدُورَهُمْ لِلْإِسْلَامِ يَلْحَقُونَ بِهِ، وَيَلْزَمُونَهُ، وَيَأْخُذُونَ الْعِلْمَ وَالْفِقْهَ مِنْهُ، وَيَعْبُدُونَ اللَّهَ تَعَالَى حَقَّ الْعِبَادَةِ، حَتَّى صَارَ عَدَدُهُمْ أَلْفًا، كُلُّهُمْ فُقَهَاءُ وَفُرْسَانٌ وَعُبَّادٌ لِلَّهِ تَعَالَى؛ قَدْ خَلَصَتْ عَقِيدَتُهُمْ مِنْ شَوَائِبِ الْبِدَعِ وَالشُّبُهَاتِ، وَخَلَصَتْ عِبَادَتُهُمْ لِلَّهِ تَعَالَى، وَحَازُوا عِلْمًا وَفِقْهًا وَفُرُوسِيَّةً.

نَظَرَ الشَّيْخُ "عَبْدُ اللَّهِ بْنُ يَاسِينَ" إِلَى أَتْبَاعِهِ الْمُرَابِطِينَ، وَقَدْ تَمَّ إِعْدَادُهُمْ إِعْدَادًا جَيِّدًا، وَأَدْرَكَ أَنَّهُ قَدْ آنَ الْأَوَانُ لِشُكْرِ اللَّهِ عَلَى نِعْمَتِهِ وَفَضْلِهِ عَلَيْهِمْ، بِالدَّعْوَةِ إِلَى دِينِهِ وَدَحْضِ تِلْكَ الضَّلَالَاتِ وَالْمُنْكَرَاتِ، الَّتِي انْتَشَرَتْ فِي شِمَالِ إِفْرِيقِيَا.

فَأَرْسَلَ إِلَى كُلِّ قَبِيلَةٍ مِنَ الْقَبَائِلِ، رِجَالًا يَدْعُونَهُمْ لِلْعَوْدَةِ إِلَى الدِّينِ الْحَقِّ، وَتَرْكِ تِلْكَ الْجَاهِلِيَّةِ الْمُنْكَرَةِ.

فَاسْتَجَابَ لِدَعْوَةِ الْمُرَابِطِينَ قَلِيلٌ مِنَ النَّاسِ، وَرَفَضَهَا خَلْقٌ كَثِيرٌ، فَقَرَّرَ الشَّيْخُ "عَبْدُ اللَّهِ بْنُ يَاسِينَ" حَمْلَ السِّلَاحِ فِي وَجْهِ مَنْ رَفَضَ الْعَوْدَةَ إِلَى الدِّينِ وَالْعَقِيدَةِ الصَّحِيحَةِ، وَحَارَبَ الْبِدَعَ وَالْمُنْكَرَاتِ، وَالْفِرَقَ الْمُنْحَرِفَةَ، حَتَّى رَضَخَتْ لِدَعْوَتِهِ تِلْكَ الْقَبَائِلُ، فَوَحَّدَهَا تَحْتَ رَايَةِ التَّوْحِيدِ لِلَّهِ تَعَالَى، وَنَشَرَ بَيْنَهَا الْعِلْمَ الصَّحِيحَ، وَشَرِيعَةَ الْحَقِّ، كَمَا جَاءَ بِهَا نَبِيُّنَا مُحَمَّدٌ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

وَفِي عَامِ 451 هِجْرِيَّةٍ، اسْتُشْهِدَ الشَّيْخُ "عَبْدُ اللَّهِ بْنُ يَاسِينَ" فِي إِحْدَى مَعَارِكِهِ ضِدَّ قَبِيلَةِ بُورْغُوَاطَةَ الَّتِي يَتَزَعَّمُهَا مُدَّعِي النُّبُوَّةِ، "صَالِحِ بْنِ طَرِيفٍ".

وَمَاتَ مُقْبِلًا غَيْرَ مُدْبِرٍ، تَارِكًا خَلْفَهُ إِرْثًا عَظِيمًا مِنَ الْإِعْدَادِ، وَالْجِهَادِ، وَالدَّعْوَةِ، وَالْإِصْلَاحِ.

وَأَوْصَى أَتْبَاعَهُ بِمُوَاصَلَةِ مَسِيرَةِ الدَّعْوَةِ، وَتَوْحِيدِ الْقَبَائِلِ، وَسِيَاسَتِهَا بِشَرِيعَةِ اللَّهِ.

وَكَتَبَ اللَّهُ لِهَذِهِ الدَّعْوَةِ الَّتِي بَدَأَتْ بِرَجُلٍ وَاحِدٍ فِي عُمْقِ الصَّحْرَاءِ، الْخَالِيَةِ مِنْ مُتَعِ الْحَيَاةِ، أَنْ تَنْمُوَ وَتَنْتَشِرَ، لِتَبْنِيَ أَعْظَمَ دَوْلَةٍ إِسْلَامِيَّةٍ فِي الْمَغْرِبِ الْإِسْلَامِيِّ، امْتَدَّتْ مِنَ الْأَنْدَلُسِ وَشَمَالِ إِفْرِيقِيَا، إِلَى صَحْرَائِها وَأَمْصَارِهَا.

فَتِلْكَ تَجْرُبَةٌ عَزِيزَةٌ فِي تَارِيخِ هَذِهِ الْأُمَّةِ، تُثْبِتُ أَنَّ النَّصْرَ إِنَّمَا يَكُونُ حَلِيفَ مَنْ صَدَقَ مَعَ اللَّهِ، وَرَبَّى نَفْسَهُ عَلَى الطَّاعَةِ وَحُسْنِ الِالْتِزَامِ، وَأَعَدَّ عُدَّتَهُ وَعَتَادَهُ، وَصَبَرَ عَلَى اللَّأْوَاءِ، وَتَكَالِيفِ الْجِهَادِ.

رَحِمَ اللَّهُ مُرَابِطَ الصَّحْرَاءِ، عَبْدَ اللَّهِ بْنَ يَاسِينَ.

وَاحَةُ السُّنَّةِ

الاحتفال
بالمولد النّبوي الشّريف

إِنَّ صَحَابَةَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَكْثَرُ النَّاسِ حُبًّا لِنَبِيِّهِمْ، وَمَعَ ذَلِكَ لَمْ يَحْتَفِلُوا بِمَوْلِدِهِ، وَلَكِنْ كَانَ هَمُّهُمْ وَدَلِيلُ حُبِّهِمْ، اتِّبَاعَ سُنَّتِهِ وَنُصْرَةَ دِينِهِ.

أَمَّا الْمَوْلِدُ النَّبَوِيُّ فَهُوَ بِدْعَةٌ أَحْدَثَهَا الْعُبَيْدِيُّونَ، عِنْدَ ظُهُورِ الدَّوْلَةِ الْفَاطِمِيَّةِ الشِّيعِيَّةِ، فَأَضَلُّوا كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ.

فَمِنْ وَاجِبِنَا يَا أَبْنَائِي أَنْ نَقْتَدِيَ بِصَحَابَةِ رَسُولِ اللَّهِ وَالسَّلَفِ الصَّالِحِ، فِي اتِّبَاعِ هَدْيِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

معركة اليرموك

فرسان تحت راية النبي ﷺ

بقلم سنا برق

موقَعَةُ اليرموك

فِي الشَّامِ، فِي سُورِيَّةَ تَحْدِيدًا، فِي السَّنَةِ الْخَامِسَةَ عَشْرَةَ مِنَ الْهِجْرَةِ النَّبَوِيَّةِ الشَّرِيفَةِ، وَفِي أَوَاخِرِ خِلَافَةِ سَيِّدِنَا أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، الَّذِي سَارَ عَلَى مِنْهَاجِ النُّبُوَّةِ، مُبَلِّغًا رِسَالَتَهُ لِيَعْمُرَ الْأَرْضَ فَتُزْهِرَ إِيمَانًا بِاللَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، وَقَعَتْ مَعْرَكَةُ الْيَرْمُوكِ الْمَهِيبَةُ.

بَلَغَ هِرَقْلُ أَمْرَ خُرُوجِ الْمُسْلِمِينَ لِمُقَاتَلَةِ الرُّومِ، فَقَالَ لَهُمْ:
ـ "وَيْحَكُمْ! إِنَّ هَؤُلَاءِ أَهْلُ دِينٍ جَدِيدٍ، وَإِنَّهُمْ لَا قِبَلَ لِأَحَدٍ بِهِمْ، فَأَطِيعُونِي وَصَالِحُوهُمْ عَلَى نِصْفِ خَرَاجِ الشَّامِ، وَإِنْ أَبَيْتُمْ أَخَذُوا مِنْكُمُ الشَّامَ، وَضَيَّقُوا عَلَيْكُمْ جِبَالَ الرُّومِ"، فَأَبَوْا إِلَّا مُحَارَبَةَ الْمُسْلِمِينَ، فَعِنْدَ ذَلِكَ أَمَرَ هِرَقْلُ بِخُرُوجِ الْجُيُوشِ الرُّومِيَّةِ لِلْقِتَالِ!

كَانَ جَيْشُ الْمُسْلِمِينَ حِينَئِذٍ مُفَرَّقًا، وَعَلَى رَأْسِ كُلِّ فَرِيقٍ قَائِدٌ فَذٌّ مِنْ قَادَةِ الْمُسْلِمِينَ، فَأَرْسَلَ هِرَقْلُ، وَهُوَ كَبِيرُ الرُّومِ، لِكُلِّ فَرِيقٍ مِنْهُمْ جَيْشًا كَبِيرًا، فَكَتَبَ الْأُمَرَاءُ إِلَى أَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ يُعْلِمُونَهُمَا بِمَا وَقَعَ مِنَ الْأَمْرِ الْعَظِيمِ، فَأَرْسَلَا إِلَيْهِمْ أَنْ: "اجْتَمِعُوا وَكُونُوا جُنْدًا وَاحِدًا، وَالْقُوا جُنُودَ الْمُشْرِكِينَ، فَأَنْتُمْ أَنْصَارُ اللَّهِ، وَاللَّهُ نَاصِرُ مَنْ نَصَرَهُ، وَخَاذِلُ مَنْ كَفَرَهُ، وَلَنْ يُؤْتَى مِثْلُكُمْ عَنْ قِلَّةٍ، وَلَكِنْ مِنْ تَلْقَاءِ الذُّنُوبِ، فَاحْتَرِسُوا مِنْهَا، وَلْيُصَلِّ كُلُّ رَجُلٍ مِنْكُمْ بِأَصْحَابِهِ".

فِي هَذَا الْوَقْتِ كَانَ سَيِّدُنَا خَالِدُ بْنُ الْوَلِيدِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فِي الْعِرَاقِ مَشْغُولًا بِفَتْحِهَا وَتَبْلِيغِ دِينِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، فَأَبَى الْفُرْسُ إِلَّا الْكُفْرَ وَالْحَرْبَ، فَدَارَتْ حَرْبٌ عَظِيمَةٌ بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ بِقِيَادَةِ سَيِّدِنَا خَالِدِ بْنِ الْوَلِيدِ وَالْفُرْسِ.

وَلَكِنْ حِينَ اشْتَدَّ الْقِتَالُ فِي أَرْضِ الشَّامِ وَأَرْسَلَ الصَّحَابَةُ يُبَلِّغُونَ سَيِّدَنَا أَبَا بَكْرٍ أَنَّ أَعْدَادَ الرُّومِ تَجَاوَزَتْ مِائَتَيْ أَلْفَ مُقَاتِلٍ، بَيْنَمَا أَعْدَادُ جَيْشِ الْمُسْلِمِينَ بِالْكَادِ وَصَلَتْ إِلَى بِضْعٍ وَعِشْرِينَ أَلْفَ مُقَاتِلٍ، وَقَالَ سَيِّدُنَا أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَوْلَتَهُ الشَّهِيرَةَ:
ـ "وَاللَّهِ لَأُنْسِيَنَّ الرُّومَ وَسَاوِسَ الشَّيْطَانِ بِخَالِدِ بْنِ الْوَلِيدِ"

ثُمَّ أَرْسَلَ إِلَيْهِ أَنْ يَتْرُكَ حَرْبَ الْفُرْسِ وَيَلْحَقَ بِجَيْشِ الْمُسْلِمِينَ فِي الشَّامِ، فَأَنَابَ سَيِّدُنَا خَالِدٌ الْمُثَنَّى بْنَ حَارِثَةَ عَلَى الْعِرَاقِ، وَسَارَ فِي سِتَّةِ آلَافٍ وَخَمْسِمِائَةٍ جنديٍّ إِلَى الشَّامِ.

وَسَارَتِ الرُّومُ فَنَزَلُوا الْوَاقِصَةَ قَرِيبًا مِنَ الْيَرْمُوكِ، وَصَارَ الْوَادِي خَنْدَقًا عَلَيْهِمْ، وَنَزَلَ الْمُسْلِمُونَ قَرِيبًا مِنَ الرُّومِ فِي طَرِيقِهِمْ الَّذِي لَيْسَ لَهُمْ طَرِيقٌ غَيْرُهُ، فَقَالَ عَمْرُو بْنُ الْعَاصِ:
ـ "أَبْشِرُوا أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ، فَقَدْ حُوصِرَتِ الرُّومُ، وَقَلَّمَا جَاءَ مَحْصُورٌ بِخَيْرٍ".

وَعِنْدَمَا وَصَلَ خَالِدٌ إِلَى مَعْسَكَرِ الْمُسْلِمِينَ، كَانَ الرُّومُ قَدْ وَصَلَ إِلَيْهِمْ مَدَدٌ فِيهِ الْقَسَاوِسَةُ وَالشَّمَامِسَةُ وَالرُّهْبَانُ، يُحَرِّضُونَهُمْ عَلَى الْقِتَالِ لِنُصْرَةِ دِينِ النَّصْرَانِيَّةِ، فَتَكَامَلَ جَيْشُ الرُّومِ أَرْبَعِينَ وَمِائَتَيْ أَلْفٍ، مِنْهُمْ ثَمَانُونَ أَلْفَ فَارِسٍ، وَقَدِمَ عِكْرِمَةُ بِمَنْ مَعَهُ مِنَ الْجُيُوشِ، فَتَكَامَلَ جَيْشُ الْمُسْلِمِينَ سِتَّةً وَثَلَاثِينَ أَلْفًا إِلَى أَرْبَعِينَ أَلْفًا.

بَعْدَ أَنْ وَصَلَ خَالِدُ بْنُ الْوَلِيدِ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- وَتَوَلَّى الْقِيَادَةَ، قَسَّمَ الْجُنْدَ إِلَى كَرَادِيسَ، وَهِيَ مَجْمُوعَةٌ ضَخْمَةٌ تَعْدَادُهَا أَلْفُ مُقَاتِلٍ، وَوَضَعَ عَلَى رَأْسِ كُلِّ وَاحِدٍ مِنْهَا أَحَدَ أَبْطَالِ الْمُسْلِمِينَ الْأَفْذَاذِ، كَالْقَعْقَاعِ وَعِكْرِمَةَ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا-.

ثُمَّ قَسَّمَ سَيِّدُنَا خَالِدٌ بْنُ الْوَلِيدِ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- الْجَيْشَ إِلَى قَلْبٍ بِقِيَادَةِ أَبِي عُبَيْدَةَ، وَمَيْمَنَةٍ بِقِيَادَةِ عَمْرُو بْنِ الْعَاصِ وَشُرَحْبِيلَ بْنِ حَسَنَةَ، وَمَيْسَرَةٍ بِقِيَادَةِ يَزِيدَ بْنِ أَبِي سُفْيَانَ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ جَمِيعًا-.

كَانَ خَالِدٌ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- قَائِدًا عَبْقَرِيًّا، يَفْهَمُ مَهَارَاتِ جُنُودِهِ وَشَخْصِيَّاتِهِمْ، فَيَضَعُ كُلَّ شَخْصٍ فِي الْمَكَانِ الْمُنَاسِبِ. فَجَعَلَ أَبَا عُبَيْدَةَ فِي الْقَلْبِ، وَعَلَى الْمَيْمَنَةِ عَمْرُو بْنَ الْعَاصِ وَمَعَهُ شُرَحْبِيلُ بْنُ حَسَنَةَ، وَعَلَى الْمَيْسَرَةِ يَزِيدَ بْنَ أَبِي سُفْيَانَ، وَعَلَى الطَّلَائِعِ قُبَاثَ بْنَ أَشيمَ، وَعَلَى الْغَنَائِمِ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ مَسْعُودٍ، وَكَانَ الْقَاضِي يَوْمَئِذٍ أَبُو الدَّرْدَاءِ، وَكَانَ مَنْ يَعِظُهُمْ وَيَحُثُّهُمْ عَلَى الْقِتَالِ أَبُو سُفْيَانَ بْنَ حَرْبٍ، وَكَانَ الْقَارِئُ الَّذِي يَدُورُ عَلَى النَّاسِ وَيَقْرَأُ عَلَيْهِمْ آيَاتِ الْجِهَادِ الْمِقْدَادَ بْنَ الْأَسْوَدِ.

وَلَمَّا أَقْبَلَتِ الرُّومُ فِي خُيَلَائِهَا وَفَخْرِهَا، وَقَدْ سَدُّوا أَقْطَارَ تِلْكَ الْبُقْعَةِ، سَهْلَهَا وَوَعْرَهَا، كَأَنَّهَا غَمَامَةٌ سَوْدَاءُ تَصِيحُ بِأَصْوَاتٍ مُرْتَفِعَةٍ، وَرُهْبَانُهُمْ يَتْلُونَ الْإِنْجِيلَ وَيُحَرِّضُونَهُمْ عَلَى الْقِتَالِ، تَرَاءَى الْجَمْعَانِ وَتَبَارَزَ الْفَرِيقَانِ.

فَوَعَظَ أَبُو عُبَيْدَةَ الْمُسْلِمِينَ، وَخَرَجَ مُعَاذُ بْنُ جَبَلٍ عَلَى النَّاسِ يُذَكِّرُهُمْ بِاللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَوَعَظَ عَمْرُو بْنُ الْعَاصِ وَأَبُو سُفْيَانَ وَأَبُو هُرَيْرَةَ، وَكَانَ مِمَّنْ شَهِدَ الْيَرْمُوكَ الزُّبَيْرُ بْنُ الْعَوَّامِ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ-.

بَدَأَ سَيِّدُنَا الْقَعْقَاعُ وَسَيِّدُنَا عِكْرِمَةُ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا- الْهُجُومَ بِأَمْرٍ مِنَ الْقَائِدِ خَالِدِ بْنِ الْوَلِيدِ، فَحَمِيَتِ الْمَعْرَكَةُ وَاشْتَدَّتْ. هَجَمَ الرُّومُ بِأَعْدَادٍ غَفِيرَةٍ، فَانْكَشَفَ بَعْضُ النَّاسِ، فَنَادَى عِكْرِمَةُ:
_ "قَاتَلْتُ رَسُولَ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- فِي مَوَاطِنَ وَأَفِرُّ مِنْكُمْ؟!".

ثُمَّ نَادَى بِأَعْلَى صَوْتِهِ:
_"مَنْ يُبَايِعُ عَلَى الْمَوْتِ؟!"
فَبَايَعَهُ عَمُّهُ الْحَارِثُ بْنُ هِشَامٍ وَضِرَارُ بْنُ الْأَزْوَرِ، وَقَاتَلُوا حَتَّى جُرِحُوا جَمِيعًا.

وَقَدْ قُتِلَ فِي تِلْكَ الْمَعْرَكَةِ جَمْعٌ كَبِيرٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ، مِنْهُمْ ضِرَارُ بْنُ الْأَزْوَرِ، وَعِكْرِمَةُ بْنُ أَبِي جَهْلٍ، وَابْنُهُ عَمْرُو، وَسَلَمَةُ بْنُ هِشَامٍ، وَعَمْرُو بْنُ سَعِيدٍ، وَهِشَامُ بْنُ الْعَاصِ، وَعَمْرُو بْنُ الطُّفَيْلِ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ-. وَقُتِلَ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ مِنَ الْمُسْلِمِينَ ثَلَاثَةُ آلَافِ رَجُلٍ.

وَكَانَ أَوَّلُ مَنْ قُتِلَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ يَوْمَئِذٍ، رَجُلٌ جَاءَ إِلَى أَبِي عُبَيْدَةَ، فَقَالَ:
ـ "إِنِّي تَهَيَّأْتُ لِأَمْرِي، فَهَلْ لَكَ مِنْ حَاجَةٍ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-؟"
فَقَالَ:
ـ "نَعَمْ، تُقْرِئُهُ عَنِّي السَّلَامَ، وَتَقُولُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّا قَدْ وَجَدْنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا حَقًّا".
ثُمَّ تَقَدَّمَ هَذَا الرَّجُلُ فَقَاتَلَ حَتَّى قُتِلَ -رَحِمَهُ اللَّهُ-.

ثُمَّ حَمَلَ سَيِّدُنَا خَالِدُ بْنُ الْوَلِيدِ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- بِمَنْ مَعَهُ مِنَ الْخَيَّالَةِ عَلَى الْمَيْسَرَةِ الَّتِي حَمَلَتْ عَلَى مَيْمَنَةِ الْمُسْلِمِينَ، فَقَتَلَ مِنَ الرُّومِ فِي حَمْلَتِهِ هَذِهِ سِتَّةَ آلَافٍ. ثُمَّ حَمَلَ مَعَ مِائَةِ فَارِسٍ عَلَى مِائَةِ أَلْفٍ، فَمَا وَصَلَ إِلَيْهِمْ حَتَّى تَفَرَّقَ جَمْعُهُمْ، وَحَمَلَ الْمُسْلِمُونَ عَلَيْهِمْ حَمْلَةَ رَجُلٍ وَاحِدٍ، فَفَرُّوا وَتَبِعَهُمُ الْمُسْلِمُونَ.

وَفِي وَسَطِ ذَلِكَ، أَسْلَمَ أَحَدُ أُمَرَاءِ الرُّومِ الْكِبَارِ، وَكَانَ يُدْعَى جُرْجَةَ، فَاغْتَسَلَ وَصَلَّى رَكْعَتَيْنِ، ثُمَّ قَاتَلَ مَعَ سَيِّدِنَا خَالِدٍ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- حَتَّى أُصِيبَ وَاسْتُشْهِدَ -رَحِمَهُ اللَّهُ-.

تَضَعْضَعَتِ الرُّومُ وَاشْتَدَّ بِهِمُ الْحَالُ، فَهَرَبَتْ خَيَّالَتُهُمْ، وَنَهَضَ خَالِدٌ بِالْقَلْبِ حَتَّى صَارَ فِي وَسَطِ خُيُولِهِمْ. وَفِي آخِرِ الْيَوْمِ، سَاقَ الْمُسْلِمُونَ وَرَاءَ مَنْ فَرَّ مِنَ الرُّومِ، يَقْتُلُونَ وَيَأْسِرُونَ وَيَغْنَمُونَ، حَتَّى بَلَغُوا دِمَشْقَ، فَصَالَحَهُمْ أَهْلُهَا عَلَى مَا كَانَ عَلَيْهِ السَّابِقُونَ.

وَانْتَهَتِ الْمَعْرَكَةُ بِنَصْرٍ عَظِيمٍ لِلْمُسْلِمِينَ، وَهَزِيمَةٍ مُنْكَرَةٍ لِلرُّومِ، وَفِي ذَلِكَ قَالَ هِرَقْلُ وَهُوَ يُغَادِرُ الشَّامَ: "السَّلَامُ عَلَيْكِ يَا سُورِيَّةُ، سَلَامَ مُوَدِّعٍ لَا يَعُودُ، سَلَامًا لَا لِقَاءَ بَعْدَهُ".

وَاحَةُ السَّنَّةِ

التّوسّل عند الأضرحة والقبور

اسْتَفْحَلَتْ ظَاهِرَةُ تَقْدِيسِ الْقُبُورِ وَالتَّبَرُّكِ بِهَا فِي أَوْسَاطِ الْأُمَّةِ، حَتَّى تَقَرَّبَ إِلَيْهَا الْبَعْضُ بِأَنْوَاعِ الْقُرُبَاتِ، وَتَوَجَّهُوا إِلَيْهَا بِصُنُوفِ الْعِبَادَاتِ، وَهَذَا مُنْكَرٌ وَشِرْكٌ بِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، فَالْمُسْلِمُ يُخْلِصُ عِبَادَاتِهِ لِرَبِّهِ وَحْدَهُ، وَلَا يَتَوَسَّلُ إِلَّا لِلَّهِ تَعَالَى.

قَالَ تَعَالَى: {قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ * لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ}.

فَعَلَيْنَا أَنْ لَا نَنْخَدِعَ يَا أَبْنَائِي بِهَذِهِ الْبِدَعِ الْمُنْكَرَةِ، الَّتِي تَنْتَشِرُ فِي الْمُجْتَمَعِ، فَهِيَ لَيْسَتْ مِنْ دِينِنَا أَوْ سُنَّةِ نَبِيِّنَا الْكَرِيمِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

فإنّ الأرض لله
يورثها من يشاء من عباده

بقلم أم جليل مهني

على منهاج النّبوّة

فإن الأرض لله، يورثها من يشاء من عباده

هَلْ رَأَيْتُمْ ذَلِكَ الرَّجُلَ؟ إِنَّهُ زَعِيمُ قَبِيلَةِ بَنِي حَنِيفَةَ، يَمْشِي فِي خُيَلَاءَ، وَالطُّمُوحُ يَحْذُوهُ لِلزَّعَامَةِ وَالسُّلْطَةِ، فَهُوَ يَرَى نَفْسَهُ أَحَقَّ النَّاسِ بِحُكْمِ قَبِيلَةِ بَنِي حَنِيفَةَ وَالْقَبَائِلِ الْمُحِيطَةِ بِهَا.

وَقَدِ اسْتَغَلَّ فِي سَبِيلِ ذَلِكَ دَهَاءَهُ، وَقُدْرَتَهُ عَلَى جَذْبِ الِانْتِبَاهِ، وَجَهْلَ النَّاسِ مِنْ حَوْلِهِ فِي الْيَمَامَةِ، الْوَاقِعَةِ بِنَجْدٍ وَسَطَ الْجَزِيرَةِ الْعَرَبِيَّةِ.
ذَاكَ هُوَ مُسَيْلِمَةُ بْنُ حَبِيبِ بْنِ ثَعْلَبَةَ.

لَكِنْ أَلَمْ يَكُنْ هُوَ وَقَبَائِلُ الْيَمَامَةِ مُسْلِمِينَ، قَدْ شَهِدُوا أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ؟!
بَلَى، فَقَدْ ذَهَبَ مُسَيْلِمَةُ فِي وَفْدٍ مِنْ قَبِيلَةِ بَنِي حَنِيفَةَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَبَايَعُوهُ عَلَى السَّمْعِ وَالطَّاعَةِ، وَلَكِنَّهُ لَمْ يَكُنْ إِسْلَامًا حَقِيقِيًّا.

فَرَغْبَتُهُ فِي الْجَاهِ وَالسُّلْطَةِ مِثْلُ النَّارِ تَتَأَجَّجُ فِي صَدْرِهِ، وَلَابُدَّ أَنْ يَفْعَلَ أَيَّ شَيْءٍ، وَيَتَّخِذَ أَيَّةَ وَسِيلَةٍ، مِنْ أَجْلِ إِشْبَاعِ رَغَبَاتِهِ، وَتَحْقِيقِ طُمُوحِهِ، وَلَوْ كَانَ عَلَى حِسَابِ دِينِهِ.

تَأَمَّلَ مُسَيْلِمَةُ فِي دَعْوَةِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَتَعَجَّبَ مِنْ شِدَّةِ انْتِشَارِهَا بَيْنَ الْقَبَائِلِ، الَّتِي أَنَاخَتْ لَهُ، وَبَايَعَتْهُ، وَسَارَتْ تَحْتَ حُكْمِهِ وَدَوْلَتِهِ، فَجَاءَتْهُ وَسَاوِسُ الشَّيْطَانِ تَتَرَاقَصُ فِي عَقْلِهِ، فَقَالَ فِي نَفْسِهِ؛ لِمَ لَا أَكُونُ نَبِيَّ قَوْمِي؟ وَأَدْعُو الْقَبَائِلَ لِمُبَايَعَتِي مِثْلَمَا فَعَلَ مُحَمَّدٌ، وَهَكَذَا تَجْتَمِعُ السُّلْطَةُ فِي يَدِي.

وَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ يَهْذِي مِثْلَ الْأَهْبَلِ، مُدَّعِيًا أَنَّ اللَّهَ أَوْحَى لَهُ، وَجَعَلَهُ نَبِيًّا شَرِيكًا لِمُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

وَبَدَأَ يُنْشُرُ بَيْنَ النَّاسِ كَلَامًا سَخِيفًا، مَلِيئًا بِالسَّجْعِ، يَقُولُ إِنَّهُ وَحْيٌ أُنْزِلَ عَلَيْهِ؛ فَاسْتَخَفَّ قَوْمَهُ فَأَطَاعُوهُ، وَبَايَعُوهُ، وَنَسُوا مَا كَانُوا عَلَيْهِ مِنَ الْإِسْلَامِ، فَهُمْ لَا يُرِيدُونَ أَنْ تَتَزَعَّمَهُمْ قُرَيْشٌ، بَلْ يَرَوْنَ أَنْفُسَهُمْ أَوْلَى بِالسِّيَادَةِ.

لَمْ يَتَوَقَّفْ مُسَيْلِمَةُ عِنْدَ هَذَا الْحَدِّ، بَلْ تَعَدَّتْ سَخَافَتُهُ كُلَّ حَدٍّ، وَأَرْسَلَ رِسَالَةً إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ فِيهَا:

ـ "مِنْ مُسَيْلِمَةَ رَسُولِ اللَّهِ إِلَى مُحَمَّدٍ رَسُولِ اللَّهِ، سَلَامٌ عَلَيْكَ، أَمَّا بَعْدُ:
فَإِنِّي قَدْ أُشْرِكْتُ فِي الْأَمْرِ مَعَكَ، وَأَنَّ لَنَا نِصْفَ الْأَرْضِ وَلِقُرَيْشٍ نِصْفَ الْأَرْضِ، وَلَكِنَّ قُرَيْشًا قَوْمٌ يَعْتَدُونَ".

فَرَدَّ عَلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِرِسَالَةٍ قَالَ فِيهَا:

ـ "مِنْ مُحَمَّدٍ رَسُولِ اللَّهِ إِلَى مُسَيْلِمَةَ الْكَذَّابِ، السَّلَامُ عَلَى مَنِ اتَّبَعَ الْهُدَى، أَمَّا بَعْدُ: فَإِنَّ الْأَرْضَ لِلَّهِ، يُورِثُهَا مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ، وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ".

وَانْشَغَلَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَعْدَ هَذِهِ الْحَادِثَةِ، بِمَا هُوَ أَهَمُّ وَهُوَ تَثْبِيتُ أَرْكَانِ الْإِسْلَامِ فِي الْجَزِيرَةِ الْعَرَبِيَّةِ، وَلَمْ يُحَارِبْ مُسَيْلِمَةَ وَقْتَهَا، وَلَمْ يُولِ اهْتِمَامًا لِسَخَافَاتِهِ.

لَكِنَّ ذَلِكَ لَمْ يُوَقِفْ مُسَيْلِمَةَ عِنْدَ حَدِّهِ. فَمَا زَالَ يَهْذِي، وَلَا يَزَالُ قَوْمُهُ السُّذَّجُ يُصَدِّقُونَهُ فِيمَا يَقُولُ.

وَفِي يَوْمٍ مِنَ الْأَيَّامِ حَدَثَ أَمْرٌ عَظِيمٌ، أَلَمَّ بِأُمَّةِ الْإِسْلَامِ، لَقَدْ مَاتَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، نَبِيُّ الْأُمَّةِ وَقَائِدُهَا، وَانْتَشَرَ خَبَرُ وَفَاتِهِ بَيْنَ قَبَائِلِ الْجَزِيرَةِ الْعَرَبِيَّةِ.

وَمَدَّ الْمُنَافِقُونَ رِقَابَهُمْ، وَأَطَلُّوا بِرُؤُوسِهِمْ يَبْغُونَ الْفِتْنَةَ، فَهَذِهِ فُرْصَتُهُمْ لِكَسْرِ شَوْكَةِ الْمُؤْمِنِينَ، وَكَانَ مُسَيْلِمَةُ الْكَذَّابُ أَوَّلَهُمْ، فَرَاحَ يَصْدَعُ بِمَا لَمْ يُؤْمَرْ، وَيَجْمَعُ النَّاسَ حَوْلَهُ، مُسْتَغِلًّا كُلَّ وَسِيلَةٍ وَسَبِيلٍ، مِنْ سِحْرٍ وَشَعْوَذَةٍ وَكَلَامٍ سَخِيفٍ، ثُمَّ أَعْلَنَ ارْتِدَادَهُ عَلَى دَعْوَةِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، مُعْلِنًا أَنَّهُ النَّبِيُّ الَّذِي يَنْبَغِي أَن يُتَّبَعَ، فَصَارَ بِذَلِكَ فِتْنَةً عُظْمَى عَلَى الْإِسْلَامِ وَالْمُسْلِمِينَ.

وَلَكِنْ مَهْلًا يَا مُسَيْلِمَةُ!!
إِنْ كَانَ مُحَمَّدٌ قَدْ مَاتَ، فَإِنَّ اللَّهَ حَيٌّ لَا يَمُوتُ.
وَالْحَقُّ لَهُ رِجَالٌ أَشِدَّاءُ يَقْصِمُونَ ظَهْرَ مَنْ أَرَادَ بِهِ سُوءًا.

وَتَوَلَّى صِدِّيقُ الْأُمَّةِ أَبُو بَكْرٍ أَمْرَ الْخِلَافَةِ، وَسَلَّ سَيْفَهُ فِي وَجْهِ الْمُرْتَدِّينَ، وَأَوَّلَهُمْ مُسَيْلِمَةُ الْكَذَّابُ.
فَقَدْ أَرْسَلَ إِلَيْهِ جَيْشًا كَبِيرًا، يَقُودُهُ خَالِدُ بْنُ الْوَلِيدِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إِلَى الْيَمَامَةِ، حَيْثُ دَارَتِ الْمَعْرَكَةُ، فَكَانَ الْقِتَالُ شَدِيدًا لِكَثْرَةِ عُدَّةِ وَعَتَادِ جَيْشِ مُسَيْلِمَةَ، الَّذِي قَارَبَ الْأَرْبَعِينَ أَلْفًا، بَيْنَمَا جَيْشُ الْمُسْلِمِينَ لَا يَتَجَاوَزُ ثَلَاثَةَ عَشَرَ أَلْفًا.

وَكَادَ الْمُسْلِمُونَ أَنْ يَنْهَزِمُوا، لَوْلَا عَبْقَرِيَّةُ خَالِدٍ الَّتِي حَبَاهُ اللَّهُ بِهَا، فَكَانَ سَيْفَهُ الْمَسْلُولُ فِي وَجْهِ أَعْدَاءِ اللَّهِ.
وَصَفَّ الْقَائِدُ الصُّفُوفَ، وَخَطَّ الْخُطَطَ، وَوَضَعَ الِاسْتِرَاتِيجِيَّاتِ.
وَاقْتَحَمَ بَطَلُ الْإِسْلَامِ وَشُجَاعُهُ، الْبَرَاءُ بْنُ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ حَدِيقَةَ الْمَوْتِ، الَّتِي اخْتَبَأَ فِيهَا مُسَيْلِمَةُ، كَالْجِرْذِ النَّجِسِ.

وَفَتَحَ الْبَرَاءُ بَابَ الْحَدِيقَةِ لِإِخْوَانِهِ؛ فَدَخَلَ الْمُسْلِمُونَ، وَقَتَّلُوا الْأَعْدَاءَ تَقْتِيلًا.

وَجَاءَ وَحْشِيُّ بْنُ حَرْبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، يَحْمِلُ حَرْبَتَهُ الَّتِي قَتَلَ بِهَا عَمَّ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، حَمْزَةَ بْنَ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عِنْدَمَا كَانَ مُشْرِكًا، وَالْأَمَلُ يَحْذُوهُ أَنْ يَقْتُلَ بِهَا عَدُوَّ اللَّهِ مُسَيْلِمَةَ، لَعَلَّ اللَّهَ يَغْفِرُ لَهُ مَا كَانَ مِنْهُ.

وَقَتَلَ وَحْشِيٌّ مُسَيْلِمَةَ الْكَذَّابَ، وَتَشَتَّتَ جَيْشُهُ، وَعَادَتْ تِلْكَ الْقَبَائِلُ إِلَى الْإِسْلَامِ وَالتَّوْحِيدِ، بَعْدَمَا أَدْرَكَتْ حَجْمَ الضَّلَالِ الَّذِي كَانَتْ فِيهِ.

فَسُبْحَانَ مَنْ جَعَلَ لِلْحَقِّ رِجَالًا يَذُودُونَ عَنْهُ فِي اللَّحَظَاتِ الْحَاسِمَةِ، فَتَدُورُ الدَّائِرَةُ عَلَى الْبَاطِلِ، وَيَدْمَغُهُ الْحَقُّ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ.

وَاحَةُ السَّنَّةِ

كرة القدم
مخدّر الشّعوب

لَمْ تَعُدْ كُرَةُ الْقَدَمِ مُجَرَّدَ رِيَاضَةٍ تُمارَسُ، بَلْ تَطَوَّرَ تَعَلُّقُ النَّاسِ بِهَا حَتَّى صَارَ ذَلِكَ بِمَثَابَةِ عَقِيدَةٍ يُوَالَى عَلَيْهَا وَيُعَادَى.

أَصْبَحَتْ كُرَةُ الْقَدَمِ كَمَا يَقُولُ الصَّحَفِيُّ الْبِرِيطَانِيُّ أَنْدِي وِيسْتْ:

"دِينُ الشُّعُوبِ!"

إِنَّهَا مِنْ أَكْبَرِ الْمُلْهِياتِ لِشَبَابِ الْمُسْلِمِينَ عَنْ قَضَايَا أُمَّتِهِمْ، فَلَا تَنْجَرُّوا يَا أَبْنَائِي وَرَاءَ هَذَا الْمُخَدِّرِ، وَالْفِتْنَةِ الْعَظِيمَةِ.

مدافع باريس
أم قلم ابن باديس

بقلم أم جليل مهني

مدافع باريس أم قلم ابن باديس

فِي يَوْمٍ مِنَ الْأَيَّامِ السَّعِيدَةِ لِعَامِ 1307 هجري (1889م)، امْتَلَأَ بَيْتُ مُحَمَّدِ الصَّادِقِ بِالْبِشْرِ وَالسُّرُورِ، وَعَمَّتِ الْأَفْرَاحُ بِقُدُومِ مَوْلُودِهِ الَّذِي انْتَظَرَهُ بِفَارِغِ الصَّبْرِ.
لَقَدْ كَانَ صَبِيًّا فَسَمَّاهُ عَبْدَ الْحَمِيدِ.

لَمْ تَكُنْ أُسْرَةُ عَبْدِ الْحَمِيدِ كَغَيْرِهَا مِنَ الْأُسَرِ، بَلْ كَانَتْ مُمَيَّزَةً حَسَبًا وَنَسَبًا، فَهِيَ الْأُسْرَةُ الْبَادِيسِيَّةُ الَّتِي خَرَّجَتِ الْعُلَمَاءَ وَالْأُمَرَاءَ وَالْوُجَهَاءِ، وَتَعُودُ أُصُولُهَا إِلَى الْمَعِزِّ لِدِينِ اللَّهِ ابْنِ بَادِيسِ الصَّنْهَاجِيِّ، الَّذِي أَعَادَ السُّنَّةَ إِلَى أَرْضِ الْجَزَائِرِ، وَطَرَدَ عَنْهَا الْعَبِيدِيِّينَ أَثْنَاءَ فَتْرَةِ الْحُكْمِ الْفَاطِمِيِّ الشِّيعِيِّ.
وَفِي حُضْنِ هَذِهِ الْأُسْرَةِ الْعَرِيقَةِ، نَشَأَ عَبْدُ الْحَمِيدِ وَتَرَعْرَعَ.

وَقَدْ حَرِصَ وَالِدُهُ عَلَى أَنْ يَتَعَلَّمَ فِي الْكُتَّابِ، فَحَفِظَ الْقُرْآنَ حِفْظًا مَتِينًا وَهُوَ ابْنُ ثَلاثَةَ عَشَرَ رَبِيعًا، وَتَعَلَّمَ أُصُولَ اللُّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ وَقَوَاعِدَهَا، وَبَعْضَ الْعُلُومِ الدِّينِيَّةِ عَلَى يَدِ شَيْخِهِ حَمْدَانَ الْوُنِيسِيِّ، الَّذِي كَانَ لَهُ أَثَرٌ عَظِيمٌ عَلَيْهِ.

فَقَدْ نَصَحَهُ مَرَّاتٍ عَدِيدَةٍ نَصِيحَةً نُقِشَتْ فِي قَلْبِهِ، وَمَا زَالَتْ تَدُورُ فِي فِكْرِهِ؛
"اِقْرَأِ الْعِلْمَ لِلْعِلْمِ لَا لِلْجَاهِ".

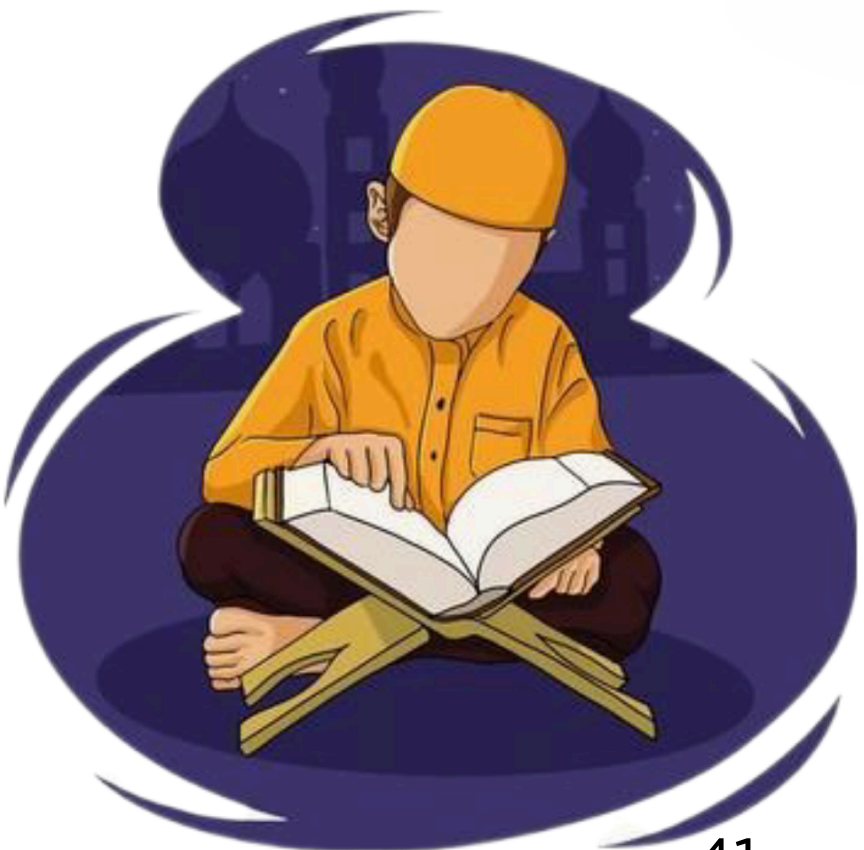

وَبَعْدَ أَنْ رَسَخَ هَذَا الْمَعْنَى فِي كِيَانِ الْفَتَى عَبْدِ الْحَمِيدِ، أَخَذَ مِنْهُ شَيْخُهُ عَهْدًا أَنْ لَا يَعْمَلَ فِي وَظِيفَةٍ حُكُومِيَّةٍ، تَحْتَ سُلْطَةِ الْمُحْتَلِّ الْبَغِيضِ، مَهْمَا كَانَتِ الظُّرُوفُ.

كَانَ عَبْدُ الْحَمِيدِ نَبِيهًا وَذَكِيًّا، لَهُ قُدْرَةٌ عَلَى تَشْخِيصِ الْوَاقِعِ وَالظُّرُوفِ الْمُحِيطَةِ بِهِ، وَهَا هُوَ يَرَى أَحْوَالَ أَبْنَاءِ وَطَنِهِ مِنْ حَوْلِهِ، فَقَدْ أَنْهَكَهُمُ الْمُحْتَلُّ الْفَرَنْسِيُّ، وَأَذَلَّهُمْ، وَسَرَقَ أَرَاضِيهِمْ وَمُقَدَّرَاتِهِمْ، وَوَهَبَهَا لِلْمُعَمِّرِينَ الْأُورُوبِيِّينَ، فَجَعَلَ مِنْهُمْ أَثْرِيَاءَ وَسَادَةً عَلَيْهِمْ، بَعْدَمَا كَانُوا مُشَرَّدِينَ فِي شَوَارِعِ فَرَنْسَا، لَا يَجِدُونَ لُقْمَةً يَسُدُّونَ بِهَا جُوعَهُمْ.

بَلْ إِنَّ الْمُحْتَلَّ طَحَنَ إِرَادَةَ أَصْحَابِ الْأَرْضِ، وَكَسَرَ شَوْكَتَهُمْ، فَدَمَّرَ الْمَسَاجِدَ، وَحَوَّلَ أُخْرَى إِلَى كَنَائِسَ وَمَرَاكِزَ عَسْكَرِيَّةٍ، وَهَدَمَ الْمَدَارِسَ، وَأَغْلَقَ الْكُتَّابِيبَ، وَمَنَعَ التَّعْلِيمَ، وَقَتَلَ وَذَبَحَ خَلْقًا كَثِيرًا، فَانْتَشَرَتِ الْأُمِّيَّةُ، وَالْجَهْلُ، وَالْفَقْرُ، وَالْأَمْرَاضُ.

كُلُّ هَذِهِ الظُّرُوفِ وَالْمَشَاهِدِ كَانَ يُعَايِشُهَا عَبْدُ الْحَمِيدِ بِشَكْلٍ يَوْمِيٍّ، فَيَتَأَثَّرُ لِذَلِكَ وَيَتَأَلَّمُ رَغْمَ أَنَّهَا لَمْ تَصِبْهُ، فَعَائِلَتُهُ مِنْ أَهْلِ الثَّرَاءِ وَالْجَاهِ، وَلَكِنَّهُ يَتَأَلَّمُ لِأَجْلِ أُمَّتِهِ وَوَطَنِهِ.

دِرَاسَتُهُ فِي جَامِعِ الزَّيْتُونَةِ

ذَاتَ يَوْمٍ سَمِعَ عَبْدُ الْحَمِيدِ خَبَرًا مِنْ شَيْخِهِ. لَقَدْ قَرَّرَ أَنْ يُهَاجِرَ إِلَى الْمَدِينَةِ الْمُنَوَّرَةِ، فَقَدْ ضَاقَ ذَرْعًا بِهَذَا الْمُحْتَلِّ الَّذِي لَا يَكُفُّ عَنْ مُضَايَقَتِهِ وَمَنْعِهِ مِنْ رِسَالَةِ الْعِلْمِ وَالتَّعْلِيمِ، عَلَى غِرَارِ كُلِّ عُلَمَاءِ الْجَزَائِرِ وَمُعَلِّمِيهَا.

وَقَبْلَ أَنْ يَشُدَّ رِحَالَهُ إِلَى مَوْطِنِهِ الْجَدِيدِ، نَصَحَ طَالِبَهُ الشَّابَّ بِالْمُضِيِّ قُدُمًا فِي طَرِيقِ الْعِلْمِ، وَأَنْ تَكُونَ مَحَطَّتُهُ الْقَادِمَةُ جَامِعَ الزَّيْتُونَةِ فِي تُونسَ.

أَخَذَ الشَّابُّ عَبْدُ الْحَمِيدِ بِنَصِيحَةِ شَيْخِهِ حَمْدَان الْونِيسِيِّ، وَانْطَلَقَ إِلَى جَامِعِ الزَّيْتُونَةِ، فَكَانَ نَجِيبًا، حَذِقًا، جَادًّا فِي طَلَبِ الْعِلْمِ، فَحَصَّلَ مُخْتَلِفَ الْعُلُومِ، وَمَهَارَاتِ التَّعْلِيمِ، وَصَاحَبَ الْعُلَمَاءَ وَرُوَّادَ الإِصْلَاحِ فِي تُونسَ، فَتَأَثَّرَ بِهِمْ وَبِمَنْهَجِهِمْ الإِصْلَاحِيِّ، حَيْثُ صَقَلُوا شَخْصِيَّتَهُ الْمُتَعَطِّشَة لِلتَّعْلِيمِ وَالدَّعْوَةِ.

وَبَعْدَ أَنْ أَنْهَى عَبْدُ الْحَمِيدِ بن بَادِيس تَعْلِيمَهُ فِي تُونس، عَادَ إِلَى أَرْضِ الْوَطَنِ، فَاسْتَقْبَلَتْهُ أُمُّهُ بِالزَّغَارِيدِ، وَوَالِدُهُ بِالْبِشْرِ وَالِافْتِخَارِ، فَلَمْ يَزِدْهُ ذَلِكَ إِلَّا اِسْتِشْعَارًا لِعَظَمَةِ اَلْمَسْؤُولِيَّةِ اَلْمُلْقَاةِ عَلَيْهِ اتِّجَاهَ شَعْبِهِ وَوَطَنِهِ.

رِحْلَتُهُ إِلَى الْحَج

وَفِي هَذِهِ الْفَتْرَةِ قَرَّرَ عَبْدُ الْحَمِيدِ بن بَادِيس، أَنْ يَذْهَبَ فِي رِحْلَةٍ حَجٍّ إِلَى بَيْتِ اللَّهِ الْحَرَامِ، وَيَسْتَكْشِف مِنْ خِلَالِهَا أَوْضَاعَ الْعَالَمِ الإِسْلَامِيِّ، وَالْحَرَكَاتِ الإِصْلَاحِيَّةِ فِيهِ.
وَقَدْ كَانَتْ أُولَى مَحَطَّاتِهِ بَعْدَ أَدَاءِ فَرِيضَةِ الْحَجِّ هِيَ الْمَدِينَةُ الْمُنَوَّرَةُ، حَيْثُ يَتَوَاجَدُ فِيهَا شَيْخُهُ الْأَوَّلُ حَمْدَانُ الْوُنِيسِيّ، الَّذِي هَاجَرَ إِلَيْهَا قَبْلَ سَنَوَاتٍ.

وَهُنَاكَ اجْتَمَعَ شَمْلُ الْأَحِبَّةِ، فَكَانَ لِقَاءً مَهيبًا بَيْنَ الْعُلَمَاءِ وَالْأُدَبَاءِ.
وَتَقَدَّمَ ابْنُ بَادِيس مُلْقِيًا عَلَيْهِمْ دَرْسًا بِطَلَبٍ مِّنْهُمْ، فَأَجَادَ وَأَفَادَ، وَأُعْجِبَ بِهِ الشُّيُوخُ.
فَنَصَحَهُ شَيْخُهُ الْوُنِيسِيّ أَنْ يَبْقَى فِي الْمَدِينَةِ وَيَعْتَزِلَ الْجَزَائِرَ، فَلَا مَكَانَ لِلْعُلَمَاءِ مَعَ مُحْتَلٍّ يُكْثِرُ التَّضْيِيقَ عَلَيْهِمْ.

لَكِنَّ عَالِمًا هِنْدِيًّا حَكِيمًا كَانَ بَيْنَ الْعُلَمَاءِ أَشَادَ بِابْنِ بَادِيس، وَأَرْشَدَهُ إِلَى لُزُومِ أَهْلِ بَلَدِهِ، فَهُمْ أَحْوَجُ النَّاسِ إِلَيْهِ، وَقَدْ قَهَرَهُمْ اَلْمُحْتَلُّ الْفَرَنْسِيُّ مِنْ جِهَةٍ، وَأَهْلُ الْأَهْوَاءِ وَالْبِدَعِ مِنْ جِهَةٍ أُخْرَى، فَعَزَمَ ابْنُ بَادِيسٍ أَنْ يَأْخُذَ بِرَأْيِ عَالِمِ الْهِنْدِ؛ فَمَا قِيمَةُ الْعِلْمِ إِذَا لَمْ يُسَخَّرْ لِتَحْرِيرِ الْأُمَّةِ مِنْ التَّبَعِيَّةِ لِجَلَّادِهَا وَعَدُوِّهَا؟!!

وَقَدَّرَ اللَّهُ أَنْ يَجْتَمِعَ عَبْدُ الْحَمِيدِ بن بَادِيس فِي الْمَدِينَةِ الْمُنَوَّرَةِ بِشَابٍّ أَدِيبٍ غَزِيرِ الْعِلْمِ فِي مِثْلِ سِنِّهِ، اسْمُهُ مُحَمَّدُ الْبَشِير الإِبْرَاهِيمِيُّ، وَقَدْ كَانَ مُتَوَافِقًا مَعَهُ فِي طَرِيقَةِ التَّفْكِيرِ وَالرُّؤْيَةِ وَالْهَدَفِ.

وَاسْتَمَرَّ اجْتِمَاعُهُمَا لِمُدَّةِ ثَلاثَةِ أَشْهُرٍ، كَانَا يَتَدَارَسَانِ فِيهَا بِشَكْلٍ يَوْمِيٍّ الْأَوْضَاعَ السَّائِدَةَ فِي الْجَزَائِرِ، وَطَرِيقَةَ مُوَاجَهَةِ اَلْمُحْتَلِّ اَلفَرَنْسِيِّ، فَوَضَعَا خُطَّةَ اَلْإِصْلَاحِ وَالْتَحْرِيرِ، وَاتَّفَقَا عَلَى التَّعَاوُنِ عَلَى تَطْبِيقِهَا وَاقِعًا.

وَبَعْدَ هَذِهِ الزِّيَارَةِ لِلْمَدِينَةِ الْمُنَوَّرَةِ رَحَلَ ابْنُ بَادِيسٍ إِلَى الشَّامِ ثُمَّ إِلَى مِصْر، وَالْتَقَى فِي رِحْلَتِهِ هَذِهِ بِعُلَمَاء وَمُصْلِحِينَ، وَفَهِمَ مِنْهُمْ وَاقِعَ اَلْحَرَكَاتِ اَلْإِصْلَاحِيَّةِ، ثُمَّ عَادَ إِلَى أَرْضِ الْوَطَنِ، وَهُوَ كُلُّهُ عَزْمٌ وَإِصْرَارٌ لِلْمُضِيِّ فِي رِحْلَةِ نَشْرِ اَلْعِلْمِ، وَمُحَارَبَةِ اَلبِدَعِ وَالْجَهْلِ، لِيَسْهُلَ عَلَيْهِ أَمْرُ اَلْمُحْتَلِّ بَعْدَ ذَلِكَ.

بِدايةُ مَسِيرَةِ الإِصْلاحِ

عِندَمَا وَصَلَ عَبْدُ الحَمِيدِ إِلَى أَرْضِ الوَطَنِ، بَدَأَ يَمْشِي وِفْقَ الخُطَّةِ الَّتِي رَسَمَهَا مَعَ صَدِيقِهِ الإِبْرَاهِيمِيِّ فِي المَدِينَةِ.
وَكَانَتِ المَرْحَلَةُ الأُولَى مِنَ الخُطَّةِ هِيَ تَعْلِيمُ النَّاسِ عَقِيدَتَهُمْ، وَتَخْلِيصُهُمْ مِنَ البِدَعِ وَالخُرَافَاتِ الَّتِي تَنشُرُهَا الطُّرُقُ الصُّوفِيَّةُ، مِنَ الطَّوَافِ عَلَى القُبُورِ وَالذَّبْحِ لَهَا، وَتَقْدِيسِ الشُّيُوخِ، وَالتَّوَاكُلِ، وَالرِّضَا بِقَدَرِ الاِحْتِلَالِ.

كَانَ عَبْدُ الحَمِيدِ بن بَادِيسٍ يَقْضِي بَيَاضَ نَهَارِهِ، وَسَوَادَ لَيْلِهِ فِي تَعْلِيمِ النَّاسِ، وَرَدِّهِمْ إِلَى العَقِيدَةِ الصَّحِيحَةِ، حَيْثُ جَابَ رُبُوعَ الوَطَنِ، وَاسْتَكْشَفَ الأَوْضَاعَ، وَتَعَرَّفَ عَلَى مَكَامِنِ الدَّاءِ، وَوَضَعَ الدَّوَاءَ.

وَقَدْ كَانَ عَاقِلًا وَحَكِيمًا، حَيْثُ أَنَّ نَشَاطَهُ تَمَّ فِي هُدُوءٍ، دُونَ مُحَاوَلَةٍ لِلتَّصَادُمِ مَعَ السُّلُطَاتِ الفَرَنْسِيَّةِ، الَّتِي لَمْ تَكُنْ تُولِي الأَمْرَ أَهَمِّيَّةً كَبِيرَةً، فَهِيَ تَحْسِبُهُ مِنَ الدَّرَاوِيشِ الَّذِينَ لَنْ يَصِلُوا إِلَى شَيْءٍ.

وَزَادَ عَدَدُ طُلَّابِ عَبْدِ الحَمِيدِ وَأَتْبَاعِهِ، حَيْثُ رَكَّزَ عَلَى تَعْلِيمِ الصِّغَارِ وَالشَّبَابِ، وَتَقْدِيمِ دُرُوسِ الوَعْظِ لِلشُّيُوخِ، وَلَمْ يَنسَ النِّسَاءَ، فَقَدْ جَعَلَهُنَّ ضِمْنَ خُطَّتِهِ.

عِندَ ازْدِيَادِ عَدَدِ طُلَّابِ العِلْمِ، وَانْتِشَارِ الوَعِي فِي المُجْتَمَعِ، اِنْتَقَلَ عَبْدُ الحَمِيدِ إِلَى المَرْحَلَةِ الثَّانِيَةِ مِنَ الخُطَّةِ، وَهِيَ العَمَلُ الصُّحُفِيُّ، حَيْثُ أَسَّسَ جَرِيدَةَ "المُنْتَقِدِ" الَّتِي كَانَ يَنتَقِدُ فِيهَا الطُّرُقَ الصُّوفِيَّةَ، وَمَا تَبُثُّهُ مِنْ بِدَعٍ وَخُرَافَاتٍ، وَأَسَّسَ بَعْدَهَا جَرَائِدَ أُخْرَى كَ"الشِّهَابِ"، وَ"البَصَائِرِ".

كَمَا أَسَّسَ جَمْعِيَّاتٍ وَنَوَادِي فِي شَتَّى المَجَالَاتِ. كُلُّ هَذَا عَلَى حِينِ غَفْلَةٍ مِنْ فَرَنسا، فَقَدْ كَانَ يَحَاصِرُهَا مِنْ حَيْثُ ظَنَّتْ أَنَّهَا تَحَاصِرُهُ.

وَكَانَ يُسَاعِدُهُ فِي هَذَا الأَمْرِ رَفِيقُ دَرْبِهِ مُحَمَّدُ البَشِير الإِبْرَاهِيمِيِّ الَّذِي عَادَ إِلَى أَرْضِ الوَطَنِ، وَحَمَلَ مِشْعَلَ الإِصْلاحِ مَعَهُ.

لَمْ تَخْلُ هَذِهِ المَرْحَلَةُ الإِصْلاَحِيَّةُ مِنَ الأَخْطَارِ وَالعَقَبَاتِ، فَقَدْ تَعَرَّضَ لِمُحَاوَلَةِ اغْتِيَالٍ مِنْ طَرَفِ الطُّرُقِ الصُّوفِيَّةِ، الَّتِي أَزْعَجَهَا نَشَاطُهُ التَّعْلِيمِيُّ وَالتَّرْبَوِيُّ.

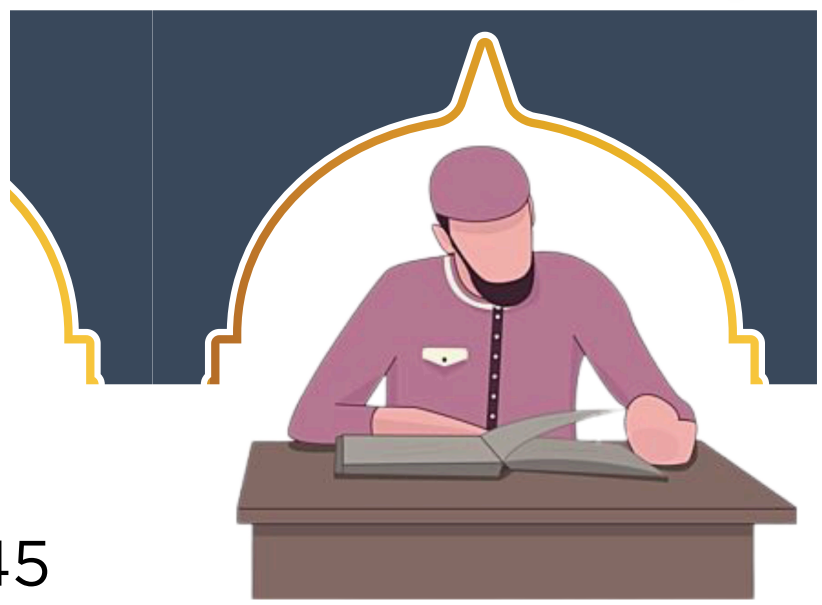

فِي المَرْحَلَةِ الثَّالِثَةِ مِنَ الخُطَّةِ، كَانَتِ الأَوْضَاعُ مُهَيَّأَةً لِإِنْشَاءِ جَمْعِيَّةِ العُلَمَاءِ المُسْلِمِينَ الجَزَائِرِيِّينَ، الَّتِي لَعِبَتْ دَوْرًا كَبِيرًا فِي نَشْرِ الوَعِي السِّيَاسِيِّ وَالدِّينِيِّ بَيْنَ النَّاسِ، وَتَنَامَى أَثَرُهَا، وَاسْتَفَاقَتْ فَرَنسا مِنْ غَفْلَتِهَا، لَكِنْ بَعْدَ فَوَاتِ الأَوَانِ.
لَقَدْ ظَنَّتْهُمْ مُجَرَّدَ دَرَاوِيشٍ، فَقَالَ الإِبْرَاهِيمِيُّ: "فَخَيَّبْنَا ظَنَّ فَرَنسا فِينَا".

وَبَدَأَ المُسْتَعْمِرُ يُمَارِسُ سِيَاسَةَ الضَّغْطِ بِكُلِّ الأَسَالِيبِ القَذِرَةِ عَلَى ابنِ بَادِيس، وَاسْتَغَلَّ فِي ذَلِكَ وَالِدَهُ، لَكِنَّ عَبْدَ الحَمِيدِ بن بَادِيس بَقِيَ ثَابِتًا عَلَى مَبَادِئِ دِينِهِ، وَلَمْ يَتَنَازَلْ أَبَدًا عَنْهَا قَيْدَ أَنْمُلَةٍ، وَقَالَ فِي عِزَّةٍ وَإِبَاءٍ لِلْفَرَنسيِّ مِيرَانْدِ:
"أَقْتُلُ مُصْطَفَى بن بَادِيس، وَاقْتُلْ مَعَهُ ابْنَهُ عَبْدَ الحَمِيدِ، وَاقْضِ عَلَى كُلِّ أُسْرَةِ بن بَادِيس إِنْ مَنَحَكِ اللَّهُ هَذِهِ القُدْرَةَ، وَلَكِنَّكَ لَنْ تَصِلَ أَبَدًا إِلَى قَتْلِ جَمْعِيَّةِ العُلَمَاءِ بِيَدَيَّ، لِأَنَّ جَمْعِيَّةَ العُلَمَاءِ لَيْسَتْ جَمْعِيَّةَ لِابن بَادِيس، وَإِنَّمَا جَمْعِيَّةُ الأُمَّةِ الجَزَائِرِيَّةِ المُسْلِمَةِ."

وَفِي عَامِ 1359 هجري (1940 لِلْمِيلَادِ)، طَالَبَتْ فَرَنْسَا بن بَادِيس بِإِمْضَاءِ بَرْقِيَّةِ التَّضَامُنِ مَعَهَا، مِنْ أَجْلِ تَجْنِيدِ شَبَابِ الْجَزَائِرِ فِي الْحَرْبِ الْعَالَمِيَّةِ الثَّانِيَةِ، لَكِنَّهُ رَفَضَ رَفْضًا قَاطِعًا.
فَاسْتَشَاطَ المُحْتَلُّ الفَرَنْسِي غَضَبًا لِمَوْقِفِ ابْنِ بَادِيس الرَّافِضِ لِدَعْمِهَا، فَضَيَّقَتْ عَلَيْهِ، وَمَنَعَتِ الْجَمْعِيَّةَ مِنْ نَشَاطِهَا، ثُمَّ ضَيَّقَتْ عَلَى الْبَشِيرِ الْإِبْرَاهِيمِيِّ وَنَفَتْهُ إِلَى الصَّحْرَاءِ.

وَجَنَّدَتِ الْجَزَائِرِيِّينَ بِالْقُوَّةِ وَأَقْحَمَتْهُمْ فِي الْحَرْبِ الْعَالَمِيَّةِ الثَّانِيَةِ.
تُوُفِّيَ ابْنُ بَادِيس فِي هَذِهِ السَّنَةِ، وَفَقَدَتِ الْجَزَائِرُ فَارِسَهَا وَقَائِدَ الإِصْلَاحِ فِيهَا، وَكَانَتْ جَنَازَتُهُ مَهِيبَةً جِدًّا، حَضَرَهَا خَمْسُونَ أَلْفًا مِنَ الْجَزَائِرِيِّينَ.
وَقَالَ الْعَرَبِي التّبسِيّ فِي كَلِمَتِهِ التَّأْبِينِيَّةِ:
"لَقَدْ كَانَ الشَّيْخُ عَبْدُ الْحَمِيدِ بن بَادِيس فِي جِهَادِهِ وَأَعْمَالِهِ هُوَ الْجَزَائِرُ كُلَّهَا، فَلْتَجْتَهِدِ الْجَزَائِرُ بَعْدَ وَفَاتِهِ أَنْ تَكُونَ هِيَ الشَّيْخَ عَبْدَ الْحَمِيدِ بن بَادِيس".

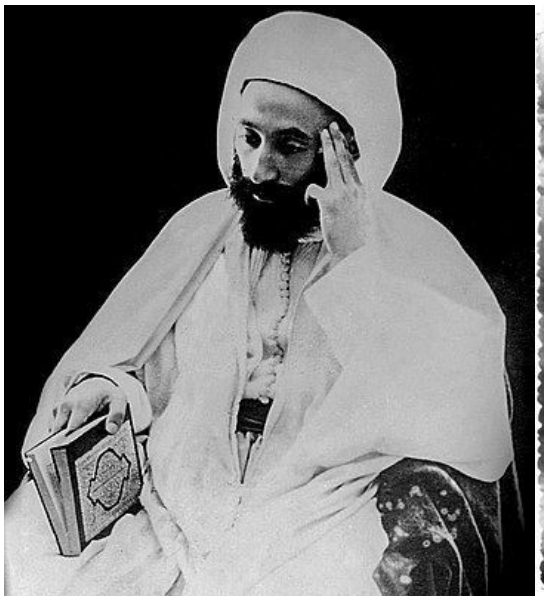

عبد الحميد بن باديس

إنَ الأمَـة الـتي لا تحـترم مقوماتهـا الأساسـية؛ مـن جنـس، ولغـة، وديـن، وتاريـخ، لا تُعـدَ أمَـة بـين الأمـم، ولا ينظـر إليهـا إلا بعـين الاحتقـار، مـع الحكـم عليهـا في ميادين الحيـاة بالتقهقر والاندحار

كَانَ ذَٰلِكَ هُوَ قَائِدُ الإِصْلَاحِ الَّذِي لَمْ يَحْمِلْ سَيْفًا، وَلَكِنَّهُ حَمَلَ قَلَمًا، فَجَاهَدَ بِهِ حَقَّ الْجِهَادِ، حَتَّى كَانَ أَشَدَّ عَلَى الِاحْتِلَالِ الْفَرَنْسِيِّ مِنَ الدَّبَّابَاتِ وَالْمَدَافِعِ، وَجَعَلَ حَيَاتَهُ وَقْفًا لِخِدْمَةِ الدِّينِ، وَكَانَ فِي اللَّهِ تَلَفُهُ، حَيْثُ قَالَ لَهُ أَحَدُ أَصْحَابِهِ:

_ أَمَا آمَنْتَ بِأَنَّ لِنَفْسِكَ عَلَيْكَ حَقًّا؟! أَمَا قَرَأْتَ تَفْسِيرَ قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: "وَلَا تَنْسَى نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا"؟ فَأَجَابَ:

ـ إِنَّ نَصِيبِي هُوَ بَثُّ الْعِلْمِ، وَإِعْدَادُ النَّاشِئَةِ لِيَوْمٍ رَهِيبٍ، وَتَجْهِيزُ الشَّعْبِ لِمَا يُقَوِّي رُوحَهُ، وَيُرْجِعُ لَهُ الْأَمَلَ، وَحَفْرُ الْأُسُسِ الْعَمِيقَةِ الَّتِي يُقِيمُ الشَّعْبُ عَلَيْهَا جِدَارَ حَيَاتِهِ الْحُرَّةَ الْمُقْبِلَةَ.

تُوُفِّيَ ابْنُ بَادِيس مُبَكِّرًا، حَيْثُ لَمْ يَتَجَاوَزِ الْخَمْسِينَ مِنْ عُمْرِهِ، وَلَكِنَّ تِلْكَ السَّنَوَاتِ كَانَتْ كَافِيَةً لِأَنْ تَوَرِّثَ الْأُمَّةَ مِيرَاثًا عَظِيمًا، وَلَبِنَةً أَسَاسِيَّةً فِي الثَّوْرَةِ التَّحْرِيرِيَّةِ الْكُبْرَى.

لَقَدْ كَانَ عَبْدُ الْحَمِيدِ بن بَادِيس مِثَالًا لِلْعَالِمِ الرَّبَّانِيِّ الَّذِي يَعْمَلُ بِمَا يَعْلَمُ، وَيَصْدَعُ بِمَا يُؤْمَرُ، وَلَا يَتَنَازَلُ عَنْ مَبْدَإٍ وَاحِدٍ مِنْ مَبَادِئِ دِينِهِ، وَلَوْ كَانَ فِي ذَٰلِكَ تَلْفُ رُوحِهِ وَجَسَدِهِ وَالنَّاسِ جَمِيعًا.
لَقَدْ كَانَ نَمُوذَجًا لِلْمُسْلِمِ الَّذِي يَهَبُ حَيَاتَهُ لِدِينِهِ وَأُمَّتِهِ، فَرَحْمَةُ اللَّهِ عَلَيْكَ يَا ابْنَ بَادِيس.

وَاحَةُ السَّنَّةِ

الألعاب الإلكترونية
خطر محدق

أَفَادَ كَثِيرٌ مِنَ الْمُخْتَصِّينَ أَنْ لِلْأَلْعَابِ الْإِلِكْتُرُونِيَّةِ آثَارًا سَلْبِيَّةً رَهِيبَةً عَلَى الصِّحَّةِ النَّفْسِيَّةِ وَالذِّهْنِيَّةِ، كَانْخِفَاضِ مُسْتَوَى الثِّقَةِ بِالنَّفْسِ، وَالْعُزْلَةِ وَانْخِفَاضِ الْأَدَاءِ الدِّرَاسِيِّ، وَعَدَمِ التَّفَاعُلِ مَعَ الْآخَرِينَ، وَعَدَمِ الْقُدْرَةِ عَلَى التَّعَامُلِ الصَّحِيحِ مَعَ كَثِيرٍ مِنَ الْمَوَاقِفِ، فَضْلًا عَنْ أَنَّهَا تَهْدِرُ الْأَوْقَاتِ.

قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "لَا تَزُولُ قَدَمَا عَبْدٍ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حَتَّى يُسْأَلَ عَنْ عُمُرِهِ فِيمَ أَفْنَاهُ؟..." إِلَى آخِرِ الْحَدِيثِ

فَاحْرِصُوا عَلَى أَوْقَاتِكُمْ يَا أَبْنَائِي مِثْلَمَا عَلَّمَنَا النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَلَا تَهْدِرُوهَا فِيمَا هُوَ غَيْرُ مُفِيدٍ.

بقلم سنا برق

بنو قريظة
خيانة العهد مع الرّسول ﷺ

بنو قريظة؛ خيانة العهد مع الرسول ﷺ

فِي يَوْمٍ صَعْبٍ وَشَدِيدٍ عَلَى الْمُسْلِمِينَ فِي الْمَدِينَةِ، اجْتَمَعَ كُفَّارُ قُرَيْشٍ وَكَثِيرٌ مِنَ الْقَبَائِلِ الْمُتَحَالِفَةِ مَعَهُمْ، بَعْدَمَا أَقْنَعَهُمْ يَهُودُ بَنِي النَّضِيرِ بِضَرُورَةِ الْقَضَاءِ عَلَى الْمُسْلِمِينَ فِي الْمَدِينَةِ، لَمْ يَتَرَدَّدِ الْمُشْرِكُونَ فِي الْأَمْرِ؛ بَلْ جَمَعُوا جَيْشًا كَبِيرًا جِدًّا مِنْ جَمِيعِ الْقَبَائِلِ وَأَتَوْا إِلَى الْمَدِينَةِ، عَازِمِينَ عَلَى اسْتِئْصَالِ الْمُسْلِمِينَ جَمِيعًا.

وَصَلَ الْخَبَرُ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَأَرَادَ الْخُرُوجَ لَهُمْ، وَمُلاقَاتِهِمْ بَعِيدًا عَنِ الْمَدِينَةِ، لَكِنَّ سَيِّدُنَا سَلْمَان الْفَارِسِيّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَشَارَ عَلَيْهِ بِحَفْرِ خَنْدَقٍ عَظِيمٍ حَوْلَ الْمَدِينَةِ، وَلَا يَخْرُجُوا مِنْهَا، وَبِذَٰلِكَ لَنْ يَسْتَطِيعُوا الدُّخُولَ إِلَى الْمَدِينَةِ، وَلَا الْوُصُولَ لِلْمُسْلِمِينَ.

فَوَافَقَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى خُطَّةِ سَيِّدِنَا سَلْمَان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، خَاصَّةً وَتَضَارِيسُ الْمَدِينَةِ تُسَاعِدُ عَلَى نَجَاحِ الْخُطَّةِ، فَالْمَدِينَةُ مُحَاطَةٌ بِالْأَشْجَارِ الْكِثِيفَةِ الْمُلْتَفَّةِ مِنْ نَاحِيَةٍ، وَبِالْأَرْضِ الصَّخْرِيَّةِ الَّتِي تَحُولُ دُونَ دُخُولِ الْمُشْرِكِينَ مِنْ نَاحِيَةٍ أُخْرَى، ثُمَّ الْبُيُوتُ الْمُتَقَلِّبَةُ الْمُتَلَاحِقَةُ مِنْ نَاحِيَةٍ ثَالِثَةٍ، مِمَّا يُغْلِقُ تِلْكَ النَّوَاحِي عَلَى الْمُشْرِكِينَ.

وَكَانَ يَهُودُ بَنِي قُرَيْظَةَ هُمْ حُمَاةُ الْمَدِينَةِ مِنْ نَاحِيَةِ الْجَنُوبِ، بَعْدَمَا تَعَاهَدُوا مَعَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى أَنْ لَا يَدْخُلَ الْمَدِينَةَ أَيُّ أَحَدٍ مِنْ هَذِهِ النَّاحِيَةِ، فَتِلْكَ كَانَتِ الْجِهَةَ الْوَحِيدَةَ الَّتِي يُمْكِنُ لِلْمُشْرِكِينَ الدُّخُولُ مِنْهَا، بَعْدَمَا أَغْلَقُوا عَلَيْهِمْ الْخَنْدَقَ نَاحِيَةَ الشِّمَالِ.

لَكِنَّ الْيَهُودَ كَعَادَتِهِمْ يَنْقُضُونَ الْعُهُودَ وَالْوُعُودَ، فَبَعْدَمَا رَأَوْا قُوَّةَ جَيْشِ الْمُشْرِكِينَ وَكَثْرَتَهُ، نَقَضُوا عَهْدَهُمْ مَعَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَتَحَالَفُوا مَعَ الْمُشْرِكِينَ فِي السِّرِّ، وَفَتَحُوا لَهُمْ جَبْهَةً لِلْإِجْهَازِ عَلَى الْمُسْلِمِينَ وَقَتْلِهِمْ، وَقَدْ وَصَلَ الْخَبَرُ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَالْمُسْلِمِينَ، فَاشْتَدَّ الْكَرْبُ عَلَيْهِمْ، لَكِنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ اسْتَطَاعَ أَنْ يُوقِعَ الْخِلَافَ بَيْنَهُمْ بِفَضْلِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، حَتَّى انْتَهَتْ غَزْوَةُ الْأَحْزَابِ بِهَزِيمَةِ الْمُشْرِكِينَ، وَرُجُوعِهِمْ إِلَى مَكَّةَ أَذِلَّاءَ.

لَكِنَّ الْمَعْرَكَةَ لَمْ تَنْتَهِ فِي الْمَدِينَةِ، فَقَدْ عَلِمَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنْ الْيَهُودَ مَا هُمْ إِلَّا خِنْجَرٌ مَسْمُومٌ، سَيَقْضِي عَلَى الْمُسْلِمِينَ مَعَ أَوَّلِ فُرْصَةٍ تَلُوحُ لَهُمْ، فَلَنْ يَأْمَنَ الْمُسْلِمُونَ فِي الْمَدِينَةِ طَالَمَا الْيَهُودُ فِيهَا، فَخَرَجَ إِلَيْهِمْ مُحَارِبًا جَزَاءً لِخِيَانَتِهِمْ لِلْمُسْلِمِينَ، وَمُعَاوَنَتِهِمْ لِلْمُشْرِكِينَ عَلَيْهِمْ فِي أَحْلَكِ الظُّرُوفِ.

كَانَ يَهُودُ بَنِي قُرَيْظَةَ هُمْ حُلَفَاءَ قَبِيلَةِ الْأَوْسِ، الَّتِي كَانَ زَعِيمُهَا هُوَ سَيِّدُنَا سَعْدُ بْنُ مُعَاذٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فَذَهَبَ وَفْدٌ مِنْهُمْ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِيَطْلُبُوا الشَّفَاعَةَ لِيهُودِ بَنِي قُرَيْظَةَ، فَرَدَّ عَلَيْهِمْ أَنَّهُ سَيَحْكُمُ فِيهِمْ سَعْدُ بْنُ مُعَاذٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وَسَيَرْضَى بِحُكْمِهِ وَيُنَفِّذُهُ، فَرَحَّبَتْ قَبِيلَةُ الْأَوْسِ بِذَٰلِكَ الْقَرَارِ، وَكَذَٰلِكَ رَضِيَ بِهِ يَهُودُ بَنِي قُرَيْظَةَ.

كَانَ سَيِّدُنَا سَعْدٌ بْنُ مُعَاذٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَدْ أَصَابَهُ سَهْمٌ فِي أَكْحَلِهِ يَوْمَ الْخَنْدَقِ، عَلِمَ أَنَّ وَفَاتَهُ فِيهِ.

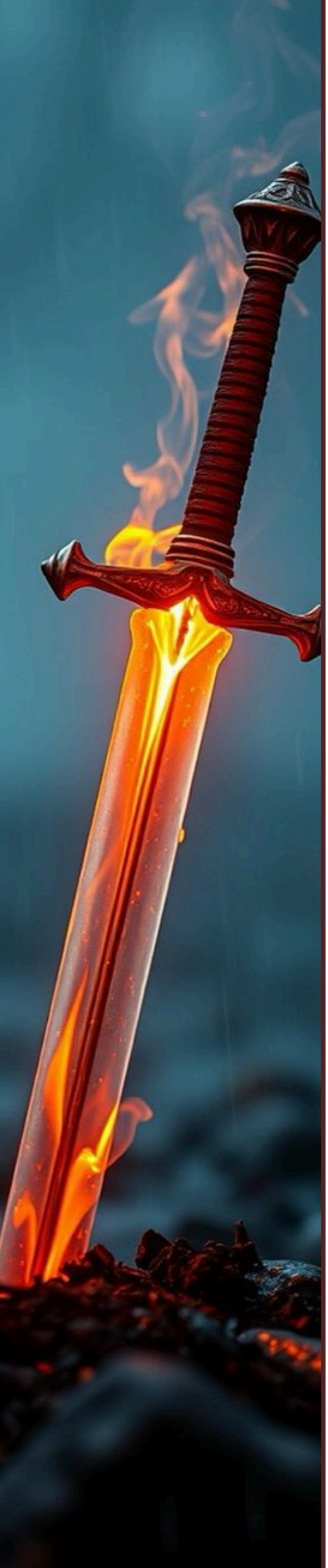

كَانَ سَيِّدُنَا سَعْدٌ مَرِيضًا جِدًّا بِسَبَبِ إِصَابَتِهِ فِي الْغَزْوَةِ، فَحَمَلَهُ الصَّحَابَةُ إِلَى مَكَانِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عِندَ بَنِي قُرَيْظَة، فَخَرَجَ وَفْدُ قَبِيلَةِ الْأَوْسِ حَوْلَهُ يَقُولُونَ:
_ يَا أَبَا عَمْرو، إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - قَدْ وَلَّاكَ الْأَمْرَ لِتُحْسِنَ فِيهِمْ.

وَظَلُّوا يُلِحُّونَ عَلَيْهِ بِأَنْ يُشْفِقَ عَلَى بَنِي قُرَيْظَةَ وَأَنْ يَحْكُمَ عَلَيْهِمْ حُكْمًا خَفِيفًا، وَهُوَ سَاكِتٌ لَا يَتَكَلَّمُ، حَتَّى إِذَا أَكْثَرُوا عَلَيْهِ قَالَ سَعْدٌ: "قَدْ آنَ لِسَعْدٍ أَلَّا تَأْخُذَهُ فِي اللَّهِ لَوْمَةُ لَائِمٍ".

مَا إِنْ وَصَلَ سَيِّدُنَا سَعْدٌ مَحْمُولًا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، حَتَّى قَالَ لِلصَّحَابَةِ:" قُومُوا إِلَى سَيِّدِكُمْ"، أَوْ "إِلَى خَيْرِكُمْ". فَأَنْزِلُوهُ.

طَلَبَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ سَيِّدِنَا سَعْدٍ أَنْ يَحْكُمَ عَلَيْهِمْ، فَرَدَّ عَلَيْهِ بِأَنَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أَحَقُّ بِالْحُكْمِ.
قَالَ: «قَدْ أَمَرَكَ اللَّهُ أَنْ تَحْكُمَ فِيهِمْ».

فَقَالَ سَعْدٌ لِرِجَالِ قَبِيلَةِ الْأَوْسِ: أَتَرْضَوْنَ حُكْمِي لِبَنِي قُرَيْظَةِ؟ قَالُوا:
_ نَعَمْ، قَدْ رَضِينَا بِحُكْمِكَ.
فَأَخَذَ عَلَيْهِمْ عَهْدَ اللَّهِ وَمِيثَاقَهُ بِذَٰلِكَ.

ثُمَّ قَالَ سَعْدٌ لِلنَّاحِيَةِ الَّتِي فِيهَا رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - وَهُوَ مُعْرِضٌ عَنْهَا، إِجْلَالًا لِرَسُولِ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: _ وَعَلَى مَنْ هَا هُنَا مِثْلُ ذَٰلِكَ، يَرْضَوْنَ بِحُكْمِهِ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - وَمَنْ مَعَهُ:
_ «نَعَمْ».

فَحَكَمَ عَلَيْهِمْ بِقَتْلِ مُقَاتِلِيهِمْ، وَسَبْيِ النِّسَاءِ وَالْأَبْنَاءِ، وَأَنْ تُؤْخَذَ أَمْلاكُهُمْ لِلْمُهَاجِرِينَ، وَأَمَّا بِالنِّسْبَةِ لِلْمُقَاتِلِينَ فَكَانَ يُقْتَلُ مِنْهُمْ الْبَالِغُونَ فَقَطْ، وَأَمَّا غَيْرُ الْبَالِغِ فَكَانَ يُؤْخَذُ مَعَ السَّبْيِ.

فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -:

(لَقَدْ حَكَمْتُ فِيهِمْ بِحُكْمِ اللَّهِ الَّذِي حَكَمَ بِهِ مِنْ فَوْقِ سَبْعِ سَمَاوَاتٍ).

كَانَ سَيِّدُنَا سَعْدٌ حِينَمَا أَصَابَهُ السَّهْمُ وَقَدْ عَلِمَ أَنَّ وَفَاتَهُ فِيهِ قَدْ دَعَا فَقَالَ:
ـ (اللَّهُمَّ إِن كُنتَ أَبْقَيْتَ مِنْ حَرْبِ قُرَيْشٍ شَيْئًا فَأَبْقِنِي لَهَا، فَإِنَّهُ لَا قَوْمَ أَحَبَّ إِلَيَّ أَنْ أُقَاتِلَهُمْ مِنْ قَوْمٍ كَذَبُوا رَسُولَكَ آذَوْهُ وَأَخْرَجُوهُ، وَإِن كَانَتِ الْحَرْبُ قَدْ وَضَعَتْ أَوْزَارَهَا عَنَّا وَعَنْهُمْ، فَاجْعَلْهَا لِي شَهَادَةً، وَلَا تُمِتْنِي حَتَّى تُقِرَّ عَيْنِي مِنْ بَنِي قُرَيْظَةِ، فَأَقَرَّ اللَّهُ تَعَالَى عَيْنَهُ مِّنْهُمْ).

فَكَانَتِ الْأَحْزَابُ آخِرَ غَزْوَةٍ بَيْنَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَقُرَيْشٍ، وَحِينَمَا نَفَّذَ حُكْمَ سَيِّدِنَا سَعْدِ بْنِ مُعَاذٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فِي بَنِي قُرَيْظَةَ، انْفَتَحَ جُرْحُهُ الَّذِي أَصَابَهُ فِي الْأَحْزَابِ، فَظَلَّ يَنزِفُ حَتَّى فَاضَتْ رُوحُهُ لِلَّهِ شَهِيدًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وَاهْتَزَّ لِمَوْتِهِ عَرْشُ الرَّحْمَنِ، وَشَيَّعَهُ سَبْعُونَ أَلْفَ مَلَكٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ.

وَاحَةُ السُّنَّةِ

القَزَع

تَنْتَشِرُ بَيْنَ أَبْنَاءِ الْمُسْلِمِينَ تَسْرِيحَاتُ شَعْرٍ غَرِيبَةٍ عَنْ قِيَمِ هَذَا الدِّينِ، وَتَقُومُ أَسَاسًا عَلَى الْقَزَعِ، وَهُوَ حَلْقُ بَعْضِ الشَّعْرِ وَتَرْكُ الْبَعْضِ الْآخَرِ، وَهَذَا مَا نَهَى عَنْهُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، حَيْثُ قَالَ:

"احْلِقُوه كُلَّه، أو اترُكوه كُلَّه"

فَالْتَزِمُوا يَا أَبْنَائِي بِسُنَّةِ نَبِيِّكُمْ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَلَا تَنْجَرُّوا وَرَاءَ الْمُوضَةِ، وَكُلِّ مَا هُوَ جَدِيدٌ يَأْتِينَا مِنَ الْغَرْبِ.

سحر الإعلام حرب على الإسلام

بقلم أمة الرّحمن

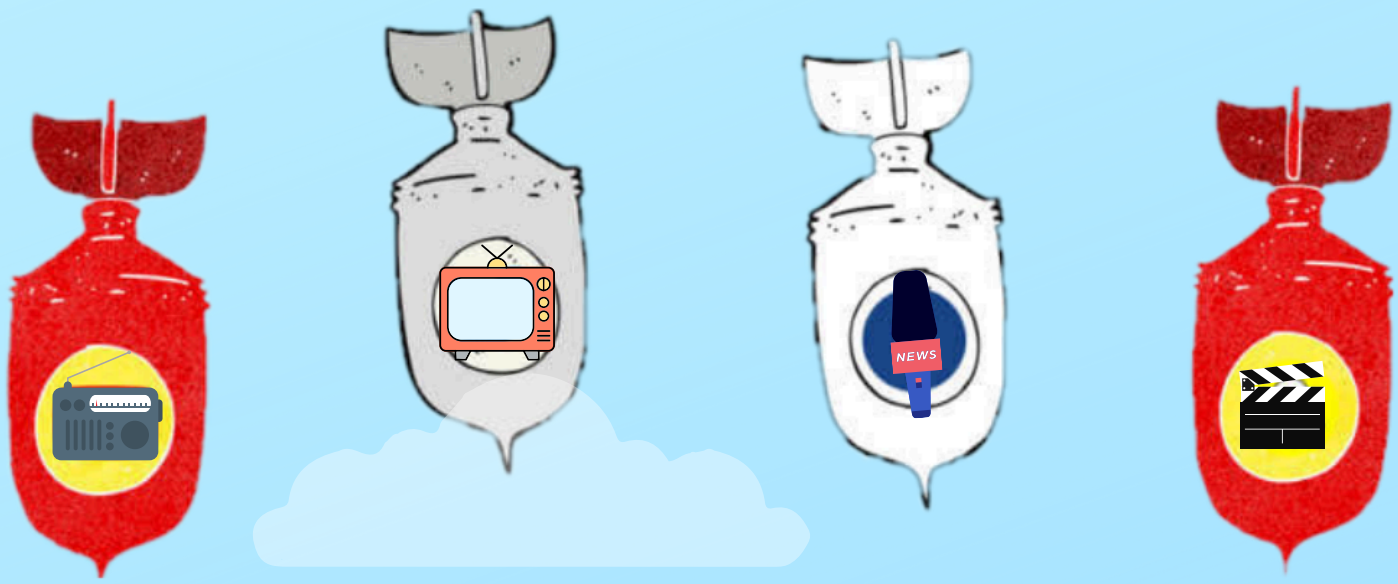

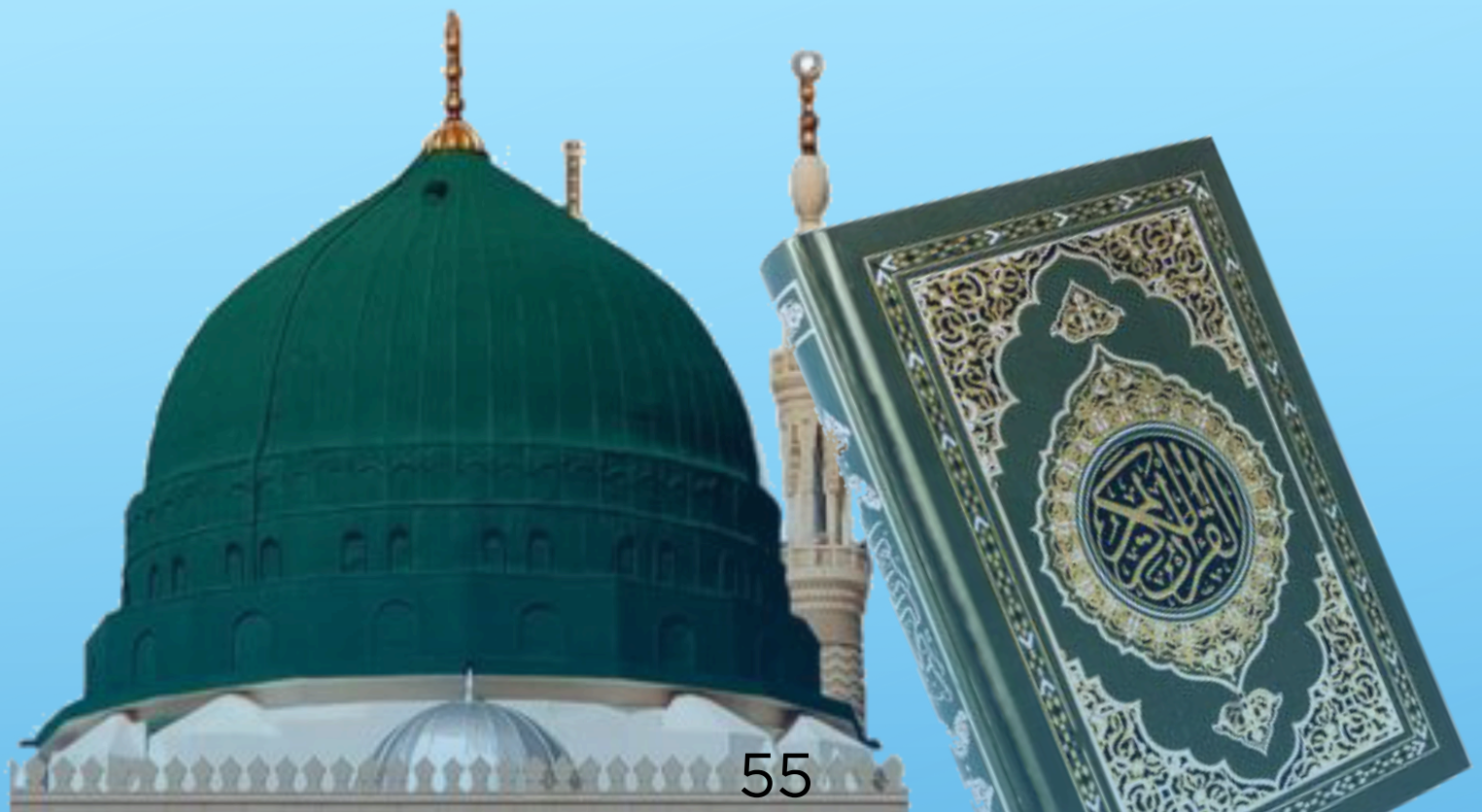

سحر الإعلام حرب على الإسلام

الْيَوْمَ مَوْعِدٌ جَدِيدٌ لِاسْتِقْبَالِ الْأُسْتَاذَةِ الْجَدِيدَةِ لِمَادَّةِ الْعُلُومِ الْإِسْلَامِيَّةِ.
تَدَافَعَ التَّلَامِيذُ إِلَى فَصْلِهِمْ وَجَلَسُوا فِي مَقَاعِدِهِمْ، وَهُمْ يَتَرَقَّبُونَ دُخُولَهَا.

تَقَدَّمَتِ الْأُسْتَاذَةُ الْجَدِيدَةُ إِلَى الْفَصْلِ، وَحَيَّتِ الطُّلَّابَ بِتَحِيَّةِ الْإِسْلَامِ:
_ السَّلَامُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ.
لَكِنَّهَا بِالْكَادِ سَمِعَتْ رَدَّ التَّحِيَّةِ مِنْ أَصْوَاتٍ هَزِيلَةٍ فِي خَلْفِيَّةِ الْفَصْلِ، وَكَأَنَّهُمْ لَمْ يَعْتَادُوا عَلَى رَدِّ التَّحِيَّةِ!

تَفَرَّسَتِ الْأُسْتَاذَةُ فِي وُجُوهِ التَّلَامِيذِ، فَرَأَتْ فِي وَاجِهَةِ الصُّفُوفِ، تِلْمِيذَةً تَبْدُو مُسْتَاءَةً مِنْ دُخُولِهَا، وَخَلْفَهَا تِلْمِيذٌ يُظْهِرُ الْمَلَامِحَ نَفْسَهَا.
فَبَدَأَتِ الْأُسْتَاذَةُ بِرَسْمِ خَطٍّ كَبِيرٍ عَلَى السَّبُّورَةِ وَقَالَتْ:
_ هَلْ تَعْلَمُونَ مَا هَذَا الْخَطُّ الَّذِي رَسَمْتُهُ؟

صَاحَ التَّلَامِيذُ بِاسْتِغْرَابٍ:
_ لَا، مَا هَذَا؟
فَقَالَتْ:
_ هَذَا مِحْوَرُ التَّارِيخِ! إِنَّهُ الزَّمَنُ الَّذِي انْقَضَى مُنْذُ جَاءَ نَبِيُّنَا مُحَمَّدٌ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِرِسَالَةِ الْإِسْلَامِ إِلَى الْيَوْمِ!
وَرَسَمَتْ فِي ذَلِكَ مَحَطَّاتٍ، تُحَدِّدُ كُلَّ حِقْبَةٍ؛ حِقْبَةَ الْبَعْثَةِ النَّبَوِيَّةِ، وَحِقْبَةَ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ، وَحِقْبَةَ الدُّوَلِ الْإِسْلَامِيَّةِ، ثُمَّ حِقْبَةَ الِاحْتِلَالِ الْغَرْبِيِّ، ثُمَّ بَعْدَ ذَلِكَ مَرْحَلَةٌ مِنَ التِّيهِ وَالظَّلَامِ.

فَقَالَتْ:

ـ هَلْ تَعْلَمُونَ فِي أَيِّ مَرْحَلَةٍ نَحْنُ؟

فَقَالَ الطَّالِبُ الْمُسْتَاءُ:

ـ نَحْنُ فِي هَذِهِ الْمَرْحَلَةِ الْأَخِيرَةِ، صَحِيحٌ؟

قَالَتْ:

ـ نَعَمْ، نَحْنُ فِي هَذِهِ الْمَرْحَلَةِ الَّتِي تَفَرَّقَ فِيهَا الْمُسْلِمُونَ وَتَدَاعَتْ عَلَيْهِمُ الْأُمَمُ! هَلْ تَعْلَمُونَ مَا يَعْنِي تَدَاعِي الْأُمَمِ؟

فَسَأَلَتِ الْفَتَاةُ الْمُسْتَاءَةُ:

ـ مَاذَا يَعْنِي ذَلِكَ؟

قَالَتِ الْأُسْتَاذَةُ:

ـ لَقَدْ أَخْبَرَنَا النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّ زَمَانَنَا سَيَشْهَدُ تَدَاعِي الْأُمَمِ عَلَيْنَا، أَيْ غَلَبَتَهُمْ عَلَيْنَا، وَأَمَّا نَحْنُ فَسَنَكُونُ بِأَعْدَادٍ كَبِيرَةٍ وَلَكِنْ بِدُونِ قِيمَةٍ، لَقَدْ أَصْبَحَ الْمُسْلِمُونَ غُثَاءً، لِأَنَّهُمْ تَرَكُوا دِينَهُمْ، وَتَخَلَّوْا عَنْ وَصَايَا نَبِيِّهِمْ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ!

نَظَرَ التِّلْمِيذُ الْمُسْتَاءُ، فَقَالَ:

ـ الْمُسْلِمُونَ الْيَوْمَ إِرْهَابِيُّونَ!

فَالْتَفَتَ الْجَمِيعُ إِلَى الطَّالِبِ الْمُسْتَاءِ، وَقَالَتْ لَهُ الْأُسْتَاذَةُ:

ـ حَسَنًا، مِنْ أَيْنَ جِئْتَ بِهَذَا الْآنَ؟ مَنْ يَقُولُ إِنَّ الْمُسْلِمِينَ إِرْهَابِيُّونَ؟

قَالَ التِّلْمِيذُ:

ـ لَقَدْ رَأَيْتُ تَقْرِيرًا إِخْبَارِيًّا عَلَى التِّلِفَازِ، يَتَحَدَّثُ عَنِ الْإِرْهَابِ وَيَقُولُ إِنَّ الْمُسْلِمِينَ إِرْهَابِيُّونَ يَقْتُلُونَ الْأَبْرِيَاءَ.

قَالَتِ الْأُسْتَاذَةُ:

ـ هَذَا مَا يَقُولُونَهُ، وَلَكِنْ هَلْ كُلُّ مَا يُقَالُ صَحِيحٌ؟ وَهَلْ عَلَيْنَا حَقًّا أَنْ نُصَدِّقَ كُلَّ مَا يُقَالُ؟

فَقَالَتِ الْفَتَاةُ الْمُسْتَاءَةُ:

ـ وَلَكِنَّ الْمُسْلِمِينَ يَكْرَهُونَ الْكِلَابَ! أَلَيْسَ هَذَا صَحِيحًا؟

فَقَالَتِ الْأُسْتَاذَةُ:

ـ مِنْ أَيْنَ سَمِعْتِ ذَلِكَ عَنِ الْمُسْلِمِينَ؟

فَقَالَتِ الْفَتَاةُ:

ـ مِنْ بَرْنَامَجٍ عَلَى التِّلِفَازِ. لَقَدْ كَانَتِ الْمَرْأَةُ الَّتِي تَتَحَدَّثُ تَقُولُ إِنَّ الْمُسْلِمِينَ أَعْدَاءٌ لِلْحَيَوَانَاتِ وَلَا يُحِبُّونَهَا! وَذَكَرَتْ كَيْفَ لَا يُطِيقُونَ الْكِلَابَ! وَأَنَا لَدَيَّ كَلْبٌ، فَكَيْفَ أَكُونُ مُسْلِمَةً وَأُبْقِي الْكَلْبَ مَعِي؟!

أَوْمَأَتِ الْأُسْتَاذَةُ بِرَأْسِهَا أَنْ قَدْ فَهِمْتُ أَيْنَ الْمُشْكِلَة! وَقَالَتْ:

ـ حَسَنًا يَا صِغَارُ، دَعُونَا نَتَحَدَّثْ بِدَايَةً عَنْ قِصَّةِ هَذِهِ الْقَنَوَاتِ الَّتِي تُهَاجِمُ الْمُسْلِمِينَ، وَتَصِفُهُمْ كَأَشْرَارٍ، دَعُونَا نَعْرِفْ مَنْ يَقُومُ عَلَيْهَا؟ هَلْ تَعْرِفُونَ قِصَّةَ فِرْعَوْنَ وَالسَّحَرَةِ؟

الْتَفَتَ التَّلَامِيذُ إِلَى الْمُعَلِّمَةِ يَتَسَاءَلُونَ:

ـ نَعَمْ لَقَدْ سَمِعْنَا بِهَا، وَلَكِنْ مَا عَلَاقَةُ هَذِهِ الْقِصَّةِ بِالْقَنَوَاتِ الْإِعْلَامِيَّةِ؟

قَالَتِ الْأُسْتَاذَةُ:

_ كَيْفَ تَمَكَّنَ فِرْعَوْنُ مِنْ أَنْ يَحْكُمَ شَعْبَهُ بِالْبَطْشِ وَالظُّلْمِ وَالطُّغْيَانِ؟

لَقَدْ تَمَكَّنَ مِنْ ذَلِكَ بِفَضْلِ السَّحَرَةِ الَّذِينَ كَانُوا يَسْحَرُونَ أَعْيُنَ النَّاسِ، وَيُصَوِّرُونَ لَهُمْ أُمُورًا غَيْرَ حَقِيقِيَّةٍ، فَيَعْتَقِدُونَ أَنَّ هَذِهِ حَقِيقَةٌ، وَيُصَدِّقُونَ فِرْعَوْنَ، وَيَخْضَعُونَ لَهُ وَلِمَا يَقُولُهُ.

وَهَكَذَا تَمَكَّنَ فِرْعَوْنُ مِنْ أَنْ يَقُودَ النَّاسَ بِهَذَا السِّحْرِ الَّذِي يَسْحَرُ بِهِ أَعْيُنَ النَّاسِ، وَيُقَلِّبُ بِهِ الْحَقَائِقَ، وَيُصَوِّرُ لَهُمُ الْحَقِيقَةَ بَاطِلًا، وَالْبَاطِلَ حَقِيقَةً. وَهَذَا تَمَامًا مَا تَفْعَلُهُ هَذِهِ الْقَنَوَاتُ الْيَوْمَ، إِنَّهَا تُصَوِّرُ الْمُسْلِمِينَ الَّذِينَ هُمْ بِالْأَسَاسِ قَدْ وَقَعَ عَلَيْهِمُ الظُّلْمُ أَنَّهُمْ أَشْرَارٌ، وَيُرِيدُونَ قَتْلَ النَّاسِ!

وَتَبْحَثُ فِي تَفَاصِيلِ دِينِهِمِ الَّتِي لَهَا فِقْهُهَا وَحِكْمَتُهَا لِتُشَوِّهَهَا، وَتُشَيْطِنَهَا وَتُنَفِّرَ النَّاسَ مِنْهَا!

فَمَثَلًا، دَخَلَتْ جُيُوشُ الْغَرْبِ إِلَى بِلَادِ الْمُسْلِمِينَ، وَحِينَ خَرَجَ الْمُسْلِمُونَ يَدْفَعُونَهَا وَيَطْرُدُونَهَا لِيُحَرِّرُوا بِلَادَهُمْ، أَطْلَقُوا عَلَيْهِمِ اسْمَ الْإِرْهَابِيِّينَ. وَهَكَذَا إِذَا سَأَلْتَهُمْ مَا تَعْرِيفُ الْإِرْهَابِ يَقُولُونَ: قَتْلُ النَّاسِ الْأَبْرِيَاءِ.

وَلَكِنَّنَا إِذَا نَظَرْنَا فِي عَالَمِنَا، مَنْ يُلْقِي بِالْقَنَابِلِ الْمُدَمِّرَةِ عَلَى الْأَبْرِيَاءِ؟ هَلْ هُمُ الْمُسْلِمُونَ؟ أَمِ الْكُفَّارُ؟ مَنْ يَقُومُ حَقِيقَةً بِقَتْلِ الْأَبْرِيَاءِ وَبِأَعْدَادٍ كَبِيرَةٍ؟ مَنْ يُحَاصِرُهُمْ وَيَمْنَعُهُمُ الْحَيَاةَ الطَّيِّبَةَ؟ إِنَّهُمُ الْكُفَّارُ وَلَيْسَ الْمُسْلِمُونَ!

إِذًا تَسْمِيَةُ الْمُسْلِمِينَ بِالْإِرْهَابِيِّينَ عَلَى أَنَّهُمْ أَشْرَارٌ، تَسْمِيَةٌ مُضَلِّلَةٌ وَخَادِعَةٌ، لِأَنَّ الْحَقِيقَةَ أَنَّ الَّذِينَ قَتَلُوا أَطْفَالَ فِلَسْطِينِ وَسُورِيَا وَالْعِرَاقِ وَأَفْغَانِسْتَانِ وَإِفْرِيقِيَا كَانُوا الْكُفَّارَ وَلَيْسَ الْمُسْلِمِينَ.

فَالسِّحْرُ الْإِعْلَامِيُّ يَقْلِبُ الْحَقَائِقَ، وَيَجْعَلُكَ تَرَى الْمَظْلُومَ ظَالِمًا وَالظَّالِمَ مَظْلُومًا، وَهُوَ مَا حَذَّرَ مِنْهُ الشَّيْخُ مَالِكُ شَهْبَازٍ رَحِمَهُ اللَّهُ، حِينَ قَالَ:

"وَسَائِلُ الْإِعْلَامِ هِيَ الْكِيَانُ الْأَقْوَى عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ .. لَدَيْهِمُ الْقُدْرَةُ عَلَى جَعْلِ الْمُذْنِبِ بَرِيئًا وَجَعْلِ الْأَبْرِيَاءِ مُذْنِبِينَ .. وَهَذِهِ هِيَ السُّلْطَةُ لِأَنَّهَا تَتَحَكَّمُ فِي عُقُولِ الْجَمَاهِيرِ".

وَهُوَ مُسْلِمٌ عَاشَ فِي أَمْرِيكَا، وَشَاهَدَ بِعَيْنَيْهِ كَيْفَ يَسْتَخْدِمِ الْإِعْلَامُ هَذَا النَّوْعَ مِنَ السِّحْرِ لِقَلْبِ الْحَقَائِقِ!

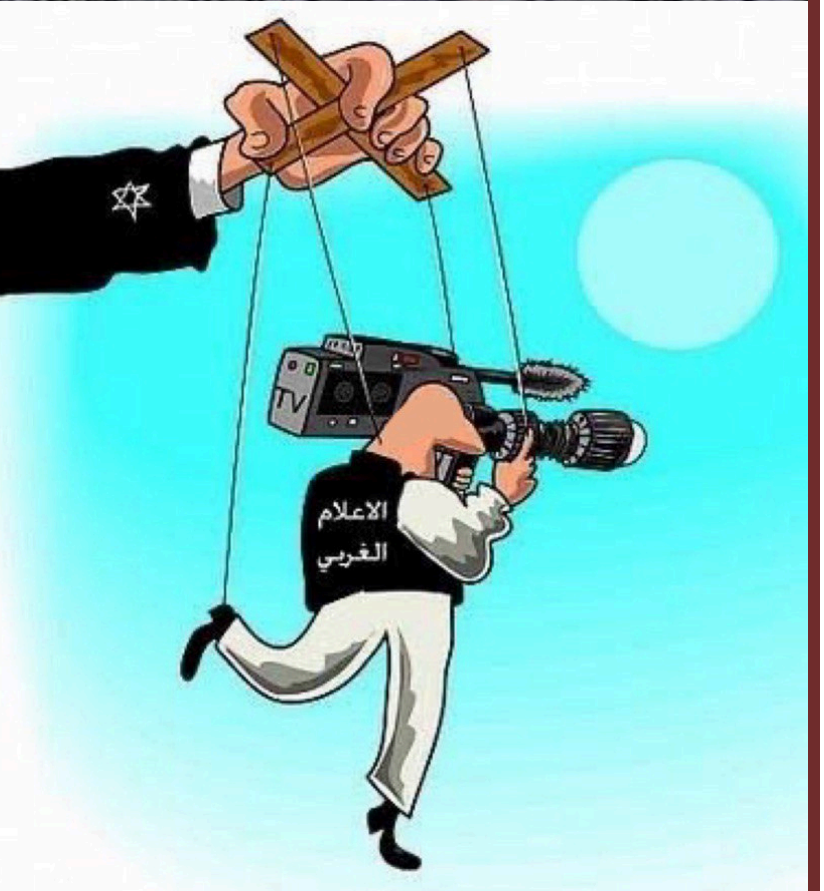

قَالَ التِّلْمِيذُ وَقَدْ تَغَيَّرَتْ مَلَامِحُ الِاسْتِيَاءِ فِي وَجْهِهِ إِلَى اهْتِمَامٍ جَادٍّ:
ـ وَلَكِنْ لِمَاذَا الْمُسْلِمُونَ بِهَذَا الضَّعْفِ؟ لِمَاذَا يَسْمَحُونَ لِلْكُفَّارِ بِقَتْلِهِمْ بِالْقَنَابِلِ وَالطَّائِرَاتِ؟ لِمَاذَا يَحْدُثُ هَذَا لَهُمْ؟
قَالَتِ الْأُسْتَاذَةُ:
ـ هَذَا لِلْأَسَفِ لِأَنَّهُمْ تَرَكُوا دِينَهُمْ، وَرَكَنُوا لِلدُّنْيَا، وَقَبِلُوا بِحَيَاةِ الضَّعْفِ، وَلَمْ يَكُنْ هَذَا حَالَ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلُ! لَقَدْ حَكَمَ الْمُسْلِمُونَ الْأَرْضَ وَكَانُوا أَسْيَادًا، وَلَمْ يَتَمَكَّنْ عَدُوٌّ مِنْ هَزِيمَتِهِمْ، وَبَرَزَتْ أَسْمَاءُ أَبْطَالِ الْإِسْلَامِ عَظِيمَةً أَعْجَزَتِ الْكَافِرِينَ. هَلْ تَعْرِفُونَ بَعْضَ أَسْمَاءِ أَبْطَالِ الْمُسْلِمِينَ الْأَقْوِيَاءِ؟

فَنَظَرَ التَّلَامِيذُ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ فِي انْدِهَاشٍ، فَقَالَتِ الْأُسْتَاذَةُ:
ـ هَلْ تَذْكُرُونَ خَالِدَ بْنَ الْوَلِيدِ الصَّحَابِيَّ الْجَلِيلَ؟
فَصَاحَ التِّلْمِيذُ الَّذِي تَحَوَّلَتْ مَلَامِحُهُ مِنَ الِاسْتِيَاءِ إِلَى الْعَزِيمَةِ:
نَعَمْ، خَالِدٌ تَذَكَّرْتُهُ، كُنْتُ سَمِعْتُ عَنْ بُطُولَاتِهِ!
قَالَتِ الْأُسْتَاذَةُ:
ـ هَلْ تُحِبُّ أَنْ تَكُونَ مِثْلَ خَالِدِ بْنِ الْوَلِيدِ أَمْ مِثْلَ مُسْلِمِ الْيَوْمِ، يَنْتَظِرُ أَنْ يَأْتِيَهُ الْكَافِرُ يَقْتُلُهُ فِي بَيْتِهِ؟
قَالَ التِّلْمِيذُ:
ـ بَلْ أُرِيدُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ خَالِدِ بْنِ الْوَلِيدِ!

نَظَرَتِ الْأُسْتَاذَةُ لِلْفَتَاةِ الَّتِي كَانَتْ تَسْتَمِعُ لِكُلِّ هَذَا الْحَدِيثِ بِاهْتِمَامٍ كَبِيرٍ، فَقَالَتْ لَهَا:
ـ وَالْآنَ هَلْ تَعْلَمِينَ مَا قِصَّةُ الْكِلَابِ فِي الْإِسْلَامِ؟
قَالَتِ التِّلْمِيذَةُ:
ـ مَا هِيَ؟

قَالَتْ:
ـ الْإِسْلَامُ دِينُ طَهَارَةٍ وَنَقَاءٍ، وَيَأْمُرُ بِالصَّلَاةِ خَمْسَ مَرَّاتٍ فِي الْيَوْمِ، وَهِيَ مَوْعِدُ إِقَامَةِ فَرِيضَةِ الصَّلَاةِ الَّتِي يَجِبُ أَنْ نُؤَدِّيَهَا فِي وَقْتِهَا عَلَى طَهَارَةٍ وَوُضُوءٍ.

وَأَمَّا الْكَلْبُ فَيَحْمِلُ النَّجَاسَةَ الَّتِي تُبْطِلُ الطَّهَارَةَ، لِذَلِكَ يَجِبُ تَطْهِيرُ الثَّوْبِ أَوِ الْبَدَنِ أَوِ الْمَكَانِ مِمَّا أَصَابَهُ مِنْ لُعَابِهِ أَوْ بَدَنِهِ الْمَبْلُولِ.

وَلَكِنْ هَذَا لَا يَعْنِي أَنْ لَا نَتَعَامَلَ مَعَ الْكِلَابِ، بَلِ الْمُسْلِمُونَ يَسْتَخْدِمُونَ الْكِلَابَ لِلْحِرَاسَةِ وَلِلصَّيْدِ، وَلَا يُعَظِّمُونَهَا كَمَا يَفْعَلُ الْكُفَّارُ، حَتَّى جَعَلُوا الْكَلْبَ فِي مَقَامِ ابْنِهِمْ، بَلْ وَقَدْ يُفَضِّلُونَهُ عَلَى ابْنِهِمْ!

هَلْ تَرَيْنَ كَيْفَ تَسِيرُ الْأُمُورُ؟ هَلْ تَقْبَلِينَ أَنْ تَكُونِي أَنْتِ وَالْكَلْبُ فِي نَفْسِ الْمَقَامِ، وَاللهُ كَرَّمَكِ؟

قَالَتِ التِّلْمِيذَةُ:
ـ لَا، لَا أُحِبُّ ذَلِكَ، وَأُحِبُّ الطَّهَارَةَ وَالنَّظَافَةَ، وَلَكِنِّي أُحِبُّ أَنْ أُرَبِّيَ الْحَيَوَانَاتِ. فَهَلْ الْإِسْلَامُ يَمْنَعُ ذَلِكَ؟ هَلْ يُمْكِنُنِي أَنْ أَقْتَنِيَ حَيَوَانًا أُرَبِّيهِ؟

قَالَتِ الْأُسْتَاذَةُ:
ـ مَا دَامَتْ هَذِهِ الْحَيَوَانَاتُ لَا تُفْسِدُ عَلَيْكِ طَهَارَتَكِ، وَلَا تَمْنَعُكِ أَدَاءَ فُرُوضِكِ، وَأَنْتِ تُحْسِنِينَ لَهَا فَلَا تُؤْذِينَهَا، فَلَا حَرَجَ فِي ذَلِكَ. يُمْكِنُكِ تَرْبِيَةُ الْأَرَانِبِ، وَالطُّيُورِ، وَالْقِطَطِ، وَالْخُيُولِ، وَغَيْرِهَا مِنَ الْحَيَوَانَاتِ الْأَلِيفَةِ.

اِبْتَسَمَتِ التِّلْمِيذَةُ ابْتِسَامَةَ سَعَادَةٍ، وَقَالَتْ:

ـ وَلَكِنْ أُسْتَاذَة، إِنْ كَانَ الْأَوْلَادُ يَجِدُونَ أَبْطَالًا مِثْلَ خَالِدِ بْنِ الْوَلِيدِ، فَمَاذَا عَنَّا نَحْنُ الْفَتَيَات؟

قَالَتِ الْأُسْتَاذَةُ:

ـ يُوجَدُ الْكَثِيرُ مِنَ الْبَطَلَاتِ أَيْضًا، وَيُمْكِنُنِي أَنْ أَمُدَّكِ بِقَصَصِ النِّسَاءِ الْمُسْلِمَاتِ الرَّائِعَاتِ، وَمِنْهُنَّ أَسْمَاءُ بِنْتُ أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا. لَقَدْ كَانَتْ امْرَأَةً شُجَاعَةً وَذَكِيَّةً، تُعْتَبَرُ مِنْ أَسَاطِيرِ الصَّحَابَةِ.

قَالَتِ التِّلْمِيذَةُ:

ـ أُحِبُّ أَنْ أَقْرَأَ سِيرَتَهَا!

ثُمَّ قَالَتِ الْأُسْتَاذَةُ:

ـ يَا صِغَارُ، نَحْنُ الْيَوْمَ فِي مَرْحَلَةٍ سَيِّئَةٍ بِتَدَاعِي الْأُمَمِ عَلَى الْمُسْلِمِينَ، وَتَفَرُّقِ هَؤُلَاءِ الْمُسْلِمِينَ وَتَشَتُّتِهِمْ، وَلَكِنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَخْبَرَنَا بِكُلِّ مَا يَحْدُثُ الْيَوْمَ، فَقَدْ أَخْبَرَنَا أَنَّ هَذَا سَيَحْدُثُ وَقَدَّمَ لَنَا الْحَلَّ كَيْ نَخْرُجَ مِنْهُ أَيْضًا. أَتَعْلَمُونَ مَا هُوَ الْحَلُّ؟

صَاحَ الصِّغَارُ:

ـ مَا هُوَ الْحَلُّ؟!

قَالَتِ الْأُسْتَاذَةُ:

ـ أَنْ نَرْجِعَ إِلَى دِينِنَا وَنَتَمَسَّكَ بِالْإِسْلَامِ بِاعْتِزَازٍ وَقُوَّةٍ، فَاللهُ تَعَالَى سَيَنْصُرُنَا إِنْ حَافَظْنَا عَلَى دِينِنَا وَهُوِيَّتِنَا الْإِسْلَامِيَّةِ، وَلَمْ نَنْهَزِمْ لِأَعْدَائِنَا، وَلَمْ نُصَدِّقْ سِحْرَهُمْ، وَلَمْ نَنْخَدِعْ بِدَجَلِهِمْ!

قَالَ التِّلْمِيذُ الَّذِي اتَّقَدَتْ عَزِيمَتُهُ:
_ نَعَمْ، سَنَكُونُ مِثْلَ خَالِدِ بْنِ الْوَلِيدِ، سَنُحَرِّرُ الْأُمَّةَ الْمُسْلِمَةَ، وَنُبْطِلُ سِحْرَ هَذَا الْإِعْلَامِ الَّذِي خَدَعَنَا وَضَلَّلَنَا.
قَالَتِ الْأُسْتَاذَةُ:
_ أَحْسَنْتَ يَا بَطَلُ، نَعَمْ، سَنُبْطِلُهُ كَمَا أَبْطَلَ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ سِحْرَ سَحَرَةِ فِرْعَوْنَ، وَنَنْتَصِرُ عَلَيْهِمْ بِالْإِسْلَامِ. وَالْآنَ لِنَبْدَأ الدَّرْسَ.
فَضَحِكَ التَّلَامِيذُ جَمِيعًا، وَقَالُوا:
_ أَلَمْ يَكُنْ هَذَا دَرْسًا؟
فَقَالَتِ الْأُسْتَاذَةُ:
_ هَذِهِ الْبِدَايَةُ فَقَطْ، وَالْآنَ سَنَتَعَرَّفُ عَلَى الْإِسْلَامِ بِشَيْءٍ مِنَ التَّفْصِيلِ، وَسَأُقَدِّمُ هَدِيَّةً لَكُمْ فِي نِهَايَةِ الدَّرْسِ؛ قَصَصَ الصَّحَابَةِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ. أَتَمَنَّى أَنْ تَقْرَءُوهَا وَتُخْبِرُونِي عَنِ الشَّخْصِيَّةِ الْمُفَضَّلَةِ لَدَيْكُمْ، وَلِمَاذَا اخْتَرْتُمُوهَا.
صَاحَ التّلامِيذُ:
هَذَا رَائِعٌ!
وَتَابَعَ الْجَمِيعُ الدَّرْسَ بِاهْتِمَامٍ كَبِيرٍ.

وَاحَةُ السُّنَّةِ

العلم للعلم
لا للوظيفة

يَحْرِصُ كَثِيرٌ مِنْ أَبْنَاءِ الْمُسْلِمِينَ عَلَى حِفْظِ وَمُرَاجَعَةِ الدُّرُوسِ، مِنْ أَجْلِ تَحْصِيلِ أَعْلَى الْعَلَامَاتِ، وَأَرْقَى الشَّهَادَاتِ، فَهِيَ مُحَرِّكُهُمْ نَحْوَ الْبَذْلِ وَالْجُهْدِ.

وَهَذَا سُلُوكٌ خَاطِئٌ؛ فَالْعِلْمُ لَا يُطْلَبُ لِأَجْلِ تَحْصِيلِ النِّقَاطِ وَالشَّهَادَاتِ، وَلَكِنْ يُطْلَبُ لِبِناءِ الْإِنْسَانِ، وَتَعْزِيزِ الْمَبَادِئِ وَالْقِيَمِ فِي الْمُجْتَمَعِ، وَنُصْرَةِ الْأُمَّةِ وَالدِّينِ.

قَالَ شَيْخُ بْنِ بَادِيسٍ لِابْنِ بَادِيسٍ:

"اقْرَأِ الْعِلْمَ لِلْعِلْمِ لَا لِلْوَظِيفَةِ".

وَهَذَا الْمَعْنَى الَّذِي يَنْبَغِي أَنْ تَعُوهُ يَا أَبْنَائِي.

الصّحابة وإقحام الخوارج

بقلم سنا برق

الصحابة وإفحام الخوارج

فِي يَوْمٍ جَمِيلٍ، أَشْرَقَتْ أَنْوَارُهُ عَلَى مَدْرَسَةِ خَالِدِ بْنِ الوَلِيدِ، وَهِيَ مَدْرَسَةٌ تَقَعُ عَلَى تَلَّةٍ عَالِيَةٍ تُشْرِفُ عَلَى كُلِّ الْمَدِينَةِ، تَوَجَّهَ التَّلَامِيذُ لِفُصُولِ الْمَدْرَسَةِ وَبِشَغَفٍ ظَاهِرٍ أَكْثَرَ مِنَ الْمُعْتَادِ، فَالْيَوْمَ حِصَّةٌ مُحَبَّبَةٌ لَهُمْ؛ مَعَ أُسْتَاذٍ مُحَبَّبٍ أَيْضًا، إِنَّهَا مَادَّةُ التَّارِيخِ الْإِسْلَامِيِّ.

تَسَابَقَ التَّلَامِيذُ لِلْجُلُوسِ فِي مَقَاعِدِهِمْ، وَانْتِظَارِ أَنْ يَبْدَأَ الْأُسْتَاذُ دَرْسَهُ الشَّيِّقَ.

دَخَلَ أُسْتَاذُ التَّارِيخِ، فَأَلْقَى تَحِيَّةَ الْإِسْلَامِ:
_ السَّلَامُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ.
رَدَّ التَّلَامِيذُ جَمِيعًا بِحَمَاسَةٍ:
_ وَعَلَيْكُمُ السَّلَامُ وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ.
قَالَ الْأُسْتَاذُ:
_ هَلْ أَنْتُمْ مُسْتَعِدُّونَ لِنُكْمِلَ قِصَّةَ خِلَافَةِ سَيِّدِنَا عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ؟
فَصَاحَ التَّلَامِيذُ:
_ نَعَمْ!
فَقَالَ الْأُسْتَاذُ:
_ حَسَنًا، لَقَدْ وَصَلْنَا إِلَى مِحْنَةِ الْمُسْلِمِينَ مَعَ الْخَوَارِجِ! هَلْ تَعْلَمُونَ مَنْ هُمُ الْخَوَارِجُ فِي ذَلِكَ الزَّمَانِ؟
قَالَ التَّلَامِيذُ بِنَظْرَةِ اسْتِفْسَارٍ:
_ مَنْ هُمُ الْخَوَارِجُ يَا أُسْتَاذُ؟

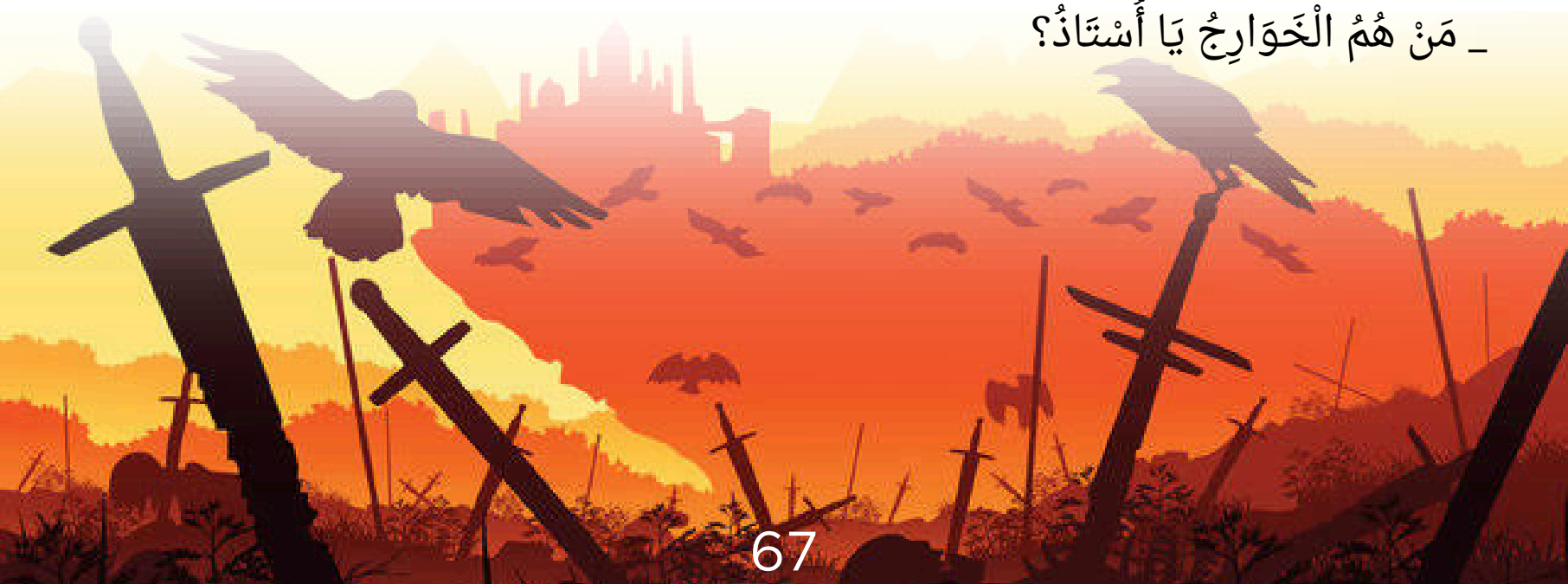

قَالَ الْأُسْتَاذُ:
ـ الْخَوَارِجُ يَا أَبْنَائِي، هُمُ الَّذِينَ قَتَلُوا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، وَالْخَلِيفَةَ الرَّاشِدَ الثَّالِثَ بَعْدَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سَيِّدَنَا عُثْمَانَ بْنَ عَفَّانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فِي يَوْمِ كَرْبٍ شَدِيدٍ عَلَى الْمُسْلِمِينَ، فَبَايَعَ النَّاسُ سَيِّدَنَا عَلِيًّا بْنَ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لِيَكُونَ هُوَ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْخَلِيفَةَ الرَّابِعَ، وَيَسْتَلِمَ قِيَادَةَ الْمُسْلِمِينَ فَلَا يَتَفَرَّقُوا.

وَسَأَلَ الْأُسْتَاذُ وَهُوَ يَرَى أَعْيُنَ تَلَامِيذِهِ تَطْلُبُ الْمَزِيدَ مِنَ الشَّرْحِ:

ـ هَلْ تَوَقَّفَ الْخَوَارِجُ عِنْدَ هَذِهِ؟ كَلَّا!
لَمَّا تَوَلَّى سَيِّدُنَا عَلِيٌّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ الْخِلَافَةَ، رَأَى أَلَّا تَدْخُلَ الدَّوْلَةُ فِي حُرُوبٍ بَعْدَ الْفِتْنَةِ الْمُزَلْزِلَةِ، الَّتِي كَادَتْ أَنْ تَقْضِيَ عَلَى شَوْكَةِ الْإِسْلَامِ بِالتَّفَرُّقِ، فَآثَرَ أَنْ تَسْتَقِرَّ الدَّوْلَةُ أَوَّلًا وَقَبْلَ كُلِّ شَيْءٍ، ثُمَّ يَقْتَصَّ مِنْ قَتَلَةِ سَيِّدِنَا عُثْمَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

وَأَثْنَاءَ ذَلِكَ، كَانَ سَيِّدُنَا مُعَاوِيَةُ بْنُ أَبِي سُفْيَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ هُوَ وَلِيَّ الدَّمِ، أَيْ مَنْ يَنْتَظِرُ الْقِصَاصَ فِي دَمِ سَيِّدِنَا عُثْمَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فَاعْتَرَضَ عَلَى تَأْخِيرِ الْقِصَاصِ، وَطَالَبَ سَيِّدَنَا عَلِيًّا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بِالْقِصَاصِ سَرِيعًا، بِدُونِ تَأْجِيلٍ، لِحَالَةِ الْحُزْنِ وَالْحُرْقَةِ الَّتِي كَانَتْ فِي قُلُوبِ الْمُسْلِمِينَ وَشُعُورِهِمْ بِالظُّلْمِ الَّذِي أَحَاطَ بِهِمْ.

وَلَكِنَّ سَيِّدَنَا عَلِيًّا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ كَانَ يَرَى مِنَ الْحِكْمَةِ تَأْجِيلَ أَمْرِ الْقِصَاصِ، خَشْيَةَ أَنْ تَتَسَبَّبَ الْعَجَلَةُ فِيهِ فِي مَزِيدٍ مِنَ الْفَوْضَى وَالاقْتِتَالِ الدَّاخِلِيِّ. وَلَكِنَّ سَيِّدَنَا مُعَاوِيَةَ قَرَّرَ أَنْ يَخْرُجَ مَعَ جُنْدٍ لِيَقْتَصَّ بِنَفْسِهِ مِنْ قَتَلَةِ سَيِّدِنَا عُثْمَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

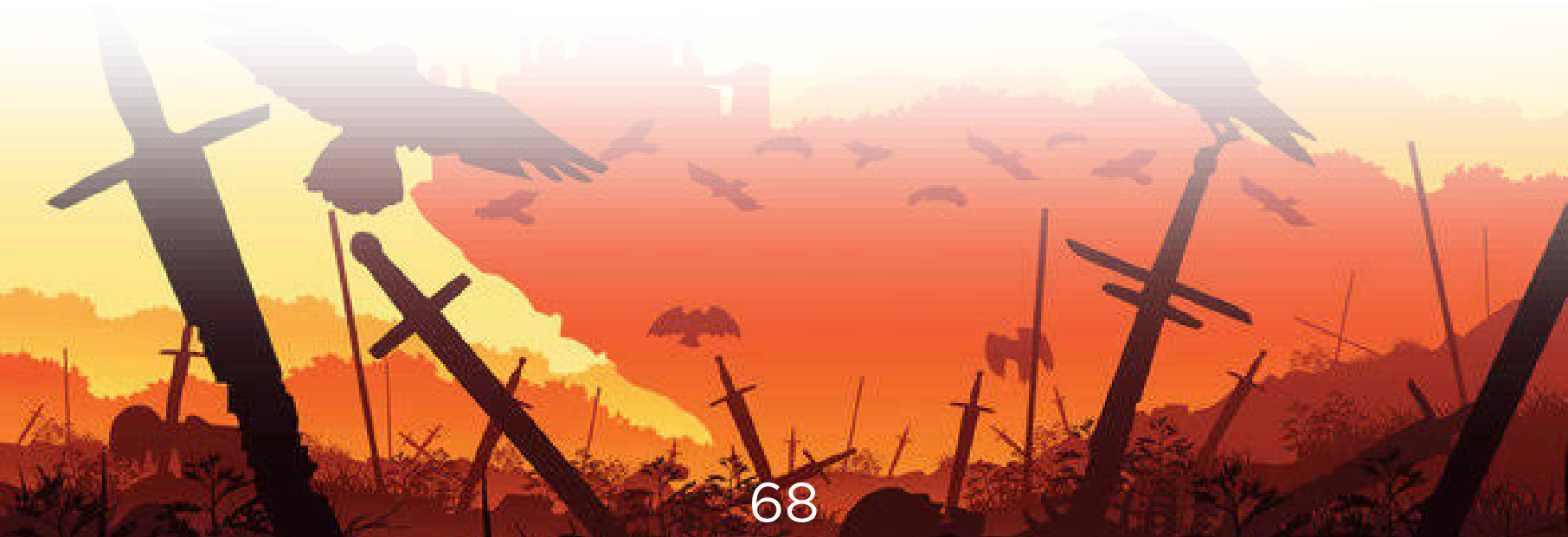

سَأَلَ الْأُسْتَاذُ:
_ هَلْ لَاحَظْتُمْ يَا أَبْنَائِي مَا حَدَثَ؟ لَقَدِ اخْتَلَفَ اثْنَانِ مِنْ كِبَارِ صَحَابَةِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ! نَعَمْ، قَدْ يَحْصُلُ الِاخْتِلَافُ بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ!

فَقَالَ أَحَدُ التَّلَامِيذِ:
_ وَكَيْفَ تَعَامَلَ الصَّحَابَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ مَعَ هَذَا الْخِلَافِ يَا أُسْتَاذُ؟
فَقَالَ الْأُسْتَاذُ:
_ لَقَدْ وَقَعَ الْخِلَافُ الشَّدِيدُ بَيْنَ سَيِّدِنَا مُعَاوِيَةَ وَجُنْدِهِ، وَبَيْنَ سَيِّدِنَا عَلِيٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَمَنْ مَعَهُ، وَلَكِنَّ الطَّرَفَيْنِ ارْتَضَيَا الِاحْتِكَامَ لِكِتَابِ اللَّهِ تَعَالَى لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمَا، كَمَا أَوْصَاهُمُ اللَّهُ تَعَالَى فِي الْقُرْآنِ الْعَظِيمِ:

(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ ۖ فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ۚ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا)

فَانْتَهَى الْأَمْرُ بِالصُّلْحِ بَعْدَ تَحْكِيمِ كِتَابِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ بَيْنَهُمَا.

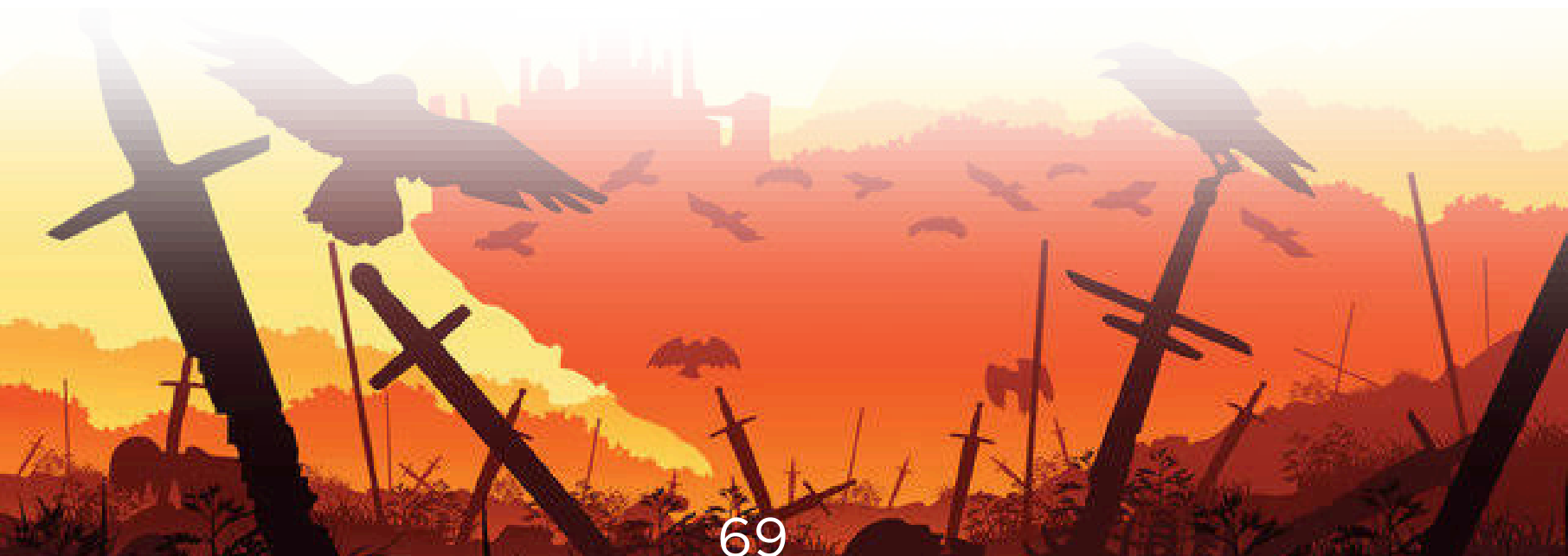

وَقَالَ الْأُسْتَاذُ:
ـ هَلِ انْتَهَى الْأَمْرُ بِالصُّلْحِ؟ كَلَّا، بَلْ خَرَجَ الْخَوَارِجُ مِنْ جَدِيدٍ يَعِيثُونَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا!
فَقَدْ أَسَاءَ الصُّلْحَ بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ الْخَوَارِجُ الَّذِينَ يَبْغُونَ الْفِتْنَةَ، وَالْفُرْقَةَ، وَالتَّقَاتُلَ بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ، فَانْشَقُّوا عَنْ جَيْشِ سَيِّدِنَا عَلِيٍّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وَأَعْلَنُوا التَّمَرُّدَ عَلَيْهِ، بَلْ وَكَفَّرُوهُ بِحُجَّةِ أَنَّهُ لَا يَحْكُمُ بِكِتَابِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ!

وَهُوَ أَوَّلُ الْفِئْيَانِ الَّذِينَ أَسْلَمُوا عَلَى يَدِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ!

فَأَرْسَلَ سَيِّدُنَا عَلِيٌّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ لَهُمُ سَيِّدَنَا عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، لِيُنَاظِرَهُمْ وَيَنْظُرَ فِي سَبَبِ تَمَرُّدِهِمْ وَحُجَجِهِمْ، فَرَجَعَ جُزْءٌ مِنْهُمْ إِلَى الْحَقِّ، وَلَكِنْ بَقِيَ جُزْءٌ يُعَانِدُ وَيَتَنَطَّعُ. فَذَهَبَ إِلَيْهِمْ سَيِّدُنَا عَلِيٌّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بِنَفْسِهِ لِيُنَاظِرَهُمْ وَيَدْعُوَهُمْ لِلْحَقِّ، وَلِعَدَمِ الْخُرُوجِ عَنْ جَمَاعَةِ الْمُسْلِمِينَ.

كَانَتْ حُجَّةُ الْخَوَارِجِ لِلْخُرُوجِ عَنْ طَاعَةِ سَيِّدِنَا عَلِيٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَالْخُرُوجِ عَلَيْهِ بِالسَّيْفِ، أَنَّهُ حَكَمَ فِي دِينِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَلَا حُكْمَ إِلَّا لِلَّهِ، بِالرَّغْمِ مِنْ أَنَّ سَيِّدَنَا عَلِيًّا لَمْ يُخْرِجِ الْحُكْمَ إِلَّا مِنْ كِتَابِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، فَعَلِمَ سَيِّدُنَا عَلِيٌّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ إِقَامَةَ الْحُجَّةِ عَلَيْهِمْ ضَرُورَةٌ لِرَدِّ شُبُهَاتِهِمْ وَالتَّصَدِّي لِجَهَالَاتِهِمْ.

أَتَعْلَمُونَ كَيْفَ تَصَرَّفَ الْخَلِيفَةُ الرَّاشِدُ الرَّابِعُ؟

تَسَاءَلَ التَّلَامِيذُ:
_ مَاذَا فَعَلَ؟!

قَالَ الْأُسْتَاذُ:
_ لَقَدْ أَمَرَ مُنَادِيًا أَنْ يُنَادِيَ فِي النَّاسِ، أَلَّا يَدْخُلَ عَلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ إِلَّا مِنْ حُفَّاظِ الْقُرْآنِ؛ وَلَمَّا امْتَلَأَ الْمَجْلِسُ بِالْحُفَّاظِ، أَمَرَ بِمُصْحَفٍ كَبِيرٍ، وَأَمْسَكَهُ بَيْنَ يَدَيْهِ وَقَالَ:
_ أَيُّهَا الْمُصْحَفُ، حَدِّثِ النَّاسَ!

فَاسْتَغْرَبَ الْحُضُورُ وَقَالُوا:
_ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، إِنَّمَا هُوَ مِدَادٌ -حِبْرٌ- عَلَى وَرَقٍ، وَنَحْنُ نَتَكَلَّمُ بِهِ؛ فَمَاذَا تُرِيدُ؟

فَبَدَأَ سَيِّدُنَا عَلِيٌّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بِرَدِّ شُبُهَاتِ الْخَوَارِجِ فَقَالَ:
_ بَيْنِي وَبَيْنَ الْخَوَارِجِ كِتَابُ اللَّهِ، يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى فِي كِتَابِهِ فِي امْرَأَةٍ وَرَجُلٍ: (وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَابْعَثُوا حَكَمًا مِنْ أَهْلِهِ وَحَكَمًا مِنْ أَهْلِهَا إِنْ يُرِيدَا إِصْلَاحًا يُوَفِّقِ اللَّهُ بَيْنَهُمَا) [النِّسَاءِ: 35]. فَأُمَّةُ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَعْظَمُ دَمًا وَحُرْمَةً مِنْ امْرَأَةٍ وَرَجُلٍ.

وَغَضِبُوا لِأَنِّي كَتَبْتُ "عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ" وَلَمْ أَكْتُبْ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ فِي الصُّلْحِ بَيْنِي وَبَيْنَ مُعَاوِيَةَ، رَغْمَ أَنِّي لَمْ أَفْعَلْ إِلَّا مِثْلَ مَا فَعَلَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي صُلْحِ الْحُدَيْبِيَةِ؛ فَعِنْدَمَا جَاءَنَا سُهَيْلُ بْنُ عَمْرو، وَنَحْنُ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِالْحُدَيْبِيَةِ حِينَ صَالَحَ قَوْمَهُ قُرَيْشًا، كَتَبَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ". فَقَالَ سُهَيْلٌ: لَا أَكْتُبُ "بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ".

فَقَالَ النَّبِيُّ: "كَيْفَ نَكْتُبُ؟" فَقَالَ: اكْتُبْ "بِاسْمِكَ اللَّهُمَّ". فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "فَكَتَبَ: هَذَا مَا صَالَحَ عَلَيْهِ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ قُرَيْشًا".

يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى فِي كِتَابِهِ: (لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ) [الْأَحْزَابِ: 21]، فَإِنَّمَا اتَّخَذْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أُسْوَةً كَمَا جَاءَ فِي الْقُرْآنِ.

ثُمَّ بَعَثَ سَيِّدُنَا عَلِيٌّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إِلَى الْخَوَارِجِ سَيِّدَنَا عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا؛ لِيُحَاوِرَهُمْ وَيَرُدَّ عَلَى شُبُهَاتِهِمْ.

حَتَّى إِذَا تَوَسَّطَ عَسْكَرَهُمْ؛ قَامَ أَحَدُهُمْ وَيُسَمَّى ابْنَ الْكَوَّاءِ يَخْطُبُ النَّاسَ، لِيُحَرِّضَهُمْ عَلَى عَدَمِ السَّمَاعِ لِسَيِّدِنَا عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبَّاسٍ فَقَالَ:
_ يَا حَمَلَةَ الْقُرْآنِ، هَذَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَبَّاسٍ، فَمَنْ لَمْ يَكُنْ يَعْرِفُهُ فَأَنَا أَعْرِفُهُ، هَذَا مِمَّنْ يُخَاصِمُ فِي كِتَابِ اللَّهِ بِمَا لَا يَعْرِفُهُ، هَذَا مِمَّنْ نَزَلَ فِيهِ وَفِي قَوْمِهِ (بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ). فَرُدُّوهُ إِلَى صَاحِبِهِ وَلَا تَسْمَعُوا لَهُ.

فَقَالَ بَعْضُهُمْ:
_ وَاللَّهِ لَنَسْمَعَنَّهُ، فَإِنْ جَاءَ بِحَقٍّ نَعْرِفُهُ لَنَتَّبِعَنَّهُ، وَإِنْ جَاءَ بِبَاطِلٍ لَنُفْحِمَنَّهُ بِبَاطِلِهِ وَنَرُدَّهُ.

فَنَاظَرَهُمْ سَيِّدُنَا عَبْدُ اللَّهِ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ، فَرَجَعَ مِنْهُمْ أَرْبَعَةُ آلَافٍ كُلُّهُمْ تَائِبٌ، مِنْ أَصْلِ سِتَّةَ عَشَرَ أَلْفًا أَوِ اثْنَا عَشَرَ أَلْفًا، فِيهِمُ ابْنُ الْكَوَّاءِ الَّذِي كَانَ يُحَرِّضُهُمْ عَلَيْهِ، حَتَّى أَدْخَلَهُمْ عَلَى عَلِيٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ الْكُوفَةَ.

فَبَعَثَ سَيِّدُنَا عَلِيٌّ إِلَى بَقِيَّتِهِمْ فَقَالَ: مُحَذِّرًا لَهُمْ أَلَّا يَسْفِكُوا دَمًا حَرَامًا، أَوْ يَقْطَعُوا طَرِيقًا، أَوْ يَظْلِمُوا ذِمَّةً. ثُمَّ تَوَعَّدَهُمْ إِنْ فَعَلُوا أَيَّ وَاحِدَةٍ مِنْ ذَلِكَ فَسَيُحَارِبُهُمْ فَقَالَ: (فَإِنَّكُمْ إِنْ فَعَلْتُمْ فَقَدْ نَبَذْنَا إِلَيْكُمُ الْحَرْبَ عَلَى سَوَاءٍ: إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْخَائِنِينَ).

فَلَمَّا خَانُوا الْعَهْدَ وَفَعَلُوا مَا نَهَاهُمْ عَنْهُ؛ قَطَعُوا السَّبِيلَ، وَسَفَكُوا الدِّمَاءَ، وَاسْتَحَلُّوا أَهْلَ الذِّمَّةِ، قَاتَلَهُمْ وَانْتَصَرَ عَلَيْهِمْ بِفَضْلِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ.

فَلَمَّا سَمِعَتِ السَّيِّدَةُ عَائِشَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا مَا حَدَثَ، سَأَلَتْ:
_ مَاذَا قَالَ عَلِيٌّ بَعْدَمَا انْتَصَرَ عَلَيْهِمْ؟

قِيلَ لَهَا: قَالَ: صَدَقَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَمَا قَالَ غَيْرَ ذَلِكَ.
فَقَالَتِ السَّيِّدَةُ عَائِشَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا:
_ أَجَلْ، صَدَقَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ، يَرْحَمُ اللَّهُ عَلِيًّا، إِنَّهُ كَانَ لَا يَرَى شَيْئًا يُعْجِبُهُ إِلَّا قَالَ: صَدَقَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ.

تَوَقَّفَ الأُسْتَاذُ عَنِ السَّرْدِ وَنَظَرَ فِي التَّلَامِيذِ قَائِلًا:
_ هَذِهِ كَانَتْ أَيَّامَ شِدَّةٍ مَرَّ بِهَا الصَّحَابَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، وَلَكِنَّنَا اسْتَفَدْنَا دُرُوسًا جَلِيلَةً مِمَّا حَدَثَ!
_ هَلْ نُلَخِّصُهَا الآنَ؟
صَاحَ التَّلَامِيذُ:
_ نَعَمْ!
فَقَالَ الأُسْتَاذُ:
_ لَقَدْ كَانَ مَا حَدَثَ أَمْرًا مُتَوَقَّعًا حُدُوثُهُ بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ، قَدْ نَبَّأَنَا بِهِ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ فِي كِتَابِهِ الْعَزِيزِ حِينَ قَالَ:

(وَإِنْ فِئَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا).

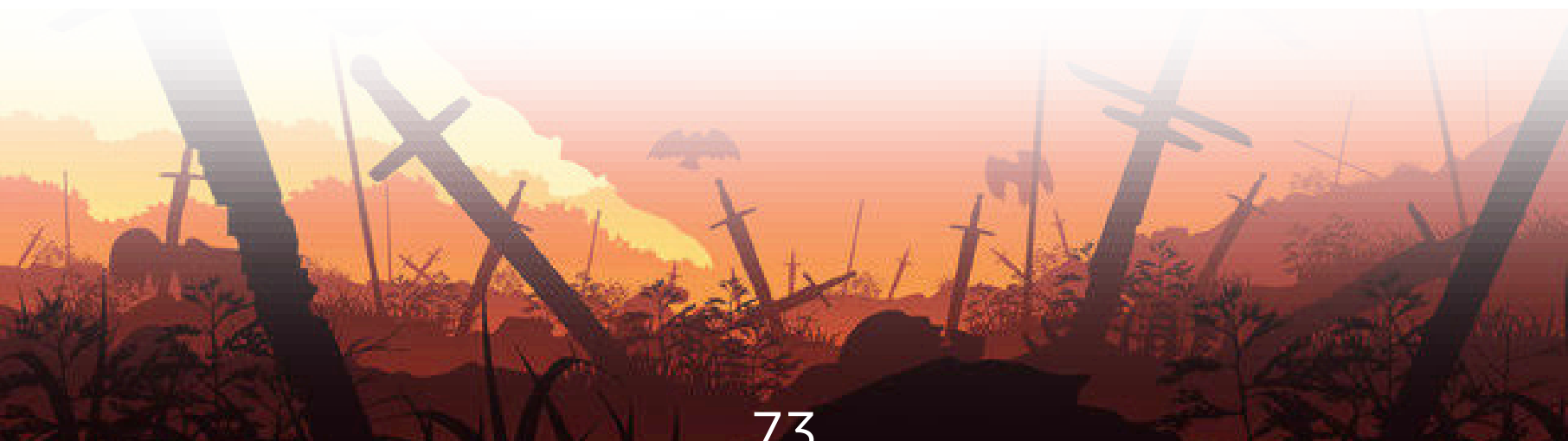

فَعَلِمْنَا مِنَ الْقُرْآنِ أَنَّ الْمُؤْمِنِينَ قَدْ يَتَقَاتَلُونَ وَلَا يَنْفِي ذَلِكَ عَنْهُمْ صِفَةَ الْإِيمَانِ، بَلْ أَثْبَتَهَا لَهُمَا، وَهَذَا مَا حَدَثَ بَيْنَ سَيِّدِنَا عَلِيٍّ وَسَيِّدِنَا مُعَاوِيَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، فَهُمَا صَحَابِيَّانِ جَلِيلَانِ مِنْ عُظَمَاءِ الصَّحَابَةِ، وَكَانَ جَيْشُ كُلٍّ مِنْهُمَا يَحْوِي صَحَابَةً كِرَامًا، فَلَا يَصِحُّ أَبَدًا أَنْ نَتَّهِمَ أَحَدَهُمَا أَوْ نَنْتَقِصَ مِنْهُ، فَهَذَا ذَنْبٌ عَظِيمٌ جِدًّا، وَلَا يَفْعَلُ ذَلِكَ إِلَّا مَنْ انْحَرَفَ عَنْ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ.

تَعَلَّمْنَا أَيْضًا أَنَّهُ لَا حَلَّ لِلْخِلَافِ بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ إِلَّا بِتَحْكِيمِ كِتَابِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَسُنَّةِ نَبِيِّهِ، وَالِانْصِيَاعِ لِمَا فِيهِمَا، وَالْمُؤْمِنُ حَقًّا هُوَ مَنْ لَمْ يَرْفُضِ الْحَقَّ حِينَ يُذَكَّرُ بِهِ؛ وَكَذَلِكَ كَانَ الصَّحَابَةُ الْكِرَامُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ.

وَعَلَيْنَا أَيْضًا أَنْ نَحْذَرَ مِنَ الْفِرَقِ الضَّالَّةِ وَالْمُبْتَدِعَةِ، الَّتِي انْحَرَفَتْ عَنْ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ، كَالْخَوَارِجِ الَّذِينَ ذَكَرْنَاهُمْ فِي قِصَّتِنَا، وَسِمَتُهُمُ الْمُمَيِّزَةُ هِيَ تَكْفِيرُ الْمُسْلِمِينَ لِمُجَرَّدِ فِعْلِ الْكَبَائِرِ وَالْمَعَاصِي، وَهَذَا خِلَافُ أَهْلِ السُّنَّةِ، فَالْكَبَائِرُ وَالْمَعَاصِي لَا تُكَفِّرُ صَاحِبَهَا إِلَّا بِشُرُوطٍ لَابُدَّ أَنْ تَنْطَبِقَ عَلَيْهِ.

وَلَمْ يَكُنْ هَذَا الْإِنْحِرَافُ الْوَحِيدَ عَنْ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ، فَقَدْ وَقَعُوا فِي إِنْحِرَافٍ مُقَابِلٍ، فِي الْإِتِّجَاهِ الْمُعَاكِسِ لِهَذَا الْغُلُوِّ فِي الدِّينِ.

وَاصَلَ الأُسْتَاذُ بِتَفْصِيلِ الْإِنْحِرَافِ الْمُقَابِلِ، وَقَالَ:

ـ وَكَانَ ذَلِكَ مَعَ فِرْقَةٍ ضَالَّةٍ أُخْرَى تُعْرَفُ بِاسْمِ الْمُرْجِئَةِ، وَهِيَ فِرْقَةٌ عَلَى النَّقِيضِ مِنَ الزِّيَادَةِ فِي الدِّينِ بِجَعْلِ الْمَعْصِيَةِ كُفْرًا، فَهُمْ يُنْقِصُونَ الدِّينَ، فَيَقُولُونَ إِنَّ أَيَّ مَعْصِيَةٍ لَا تَضُرُّ مَا دَامَ الْإِنْسَانُ مُؤْمِنًا. وَيَكْفِي الْمُؤْمِنُ أَنْ يَقُولَ "أَنَا مُؤْمِنٌ" فَقَطْ، حَتَّى لَوْ لَمْ يَفْعَلْ أَيَّ عَمَلٍ يَدُلُّ عَلَى إِيمَانِهِ، وَبِالتَّالِي هَذَا التَّلَفُّظُ الْمُجَرَّدُ مِنْ أَيِّ عَمَلٍ، وَمَهْمَا رَافَقَهُ مِنْ نَوَاقِضِ الْإِسْلَامِ، يُبْقِيهِ مُسْلِمًا.

وَأَظَافَ الأُسْتَاذُ مُوَضِّحًا:
وَهَذَا أَيْضًا خِلَافُ مَنْهَجِ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِي كَانَ عَلَيْهِ صَحَابَةُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَالإِيمَانُ عِنْدَ أَهْلِ السُّنَّةِ يَزِيدُ بِالطَّاعَةِ وَيَنْقُصُ بِالْمَعْصِيَةِ، وَمَنْ وَقَعَ فِي نَوَاقِضِ الإِسْلَامِ وَأَشْرَكَ بِاللَّهِ تَعَالَى، فَقَدْ خَرَجَ مِنَ الإِسْلَامِ وَكَفَرَ.

وَاخْتَتَمَ الأُسْتَاذُ بِالدَّرْسِ الأَكْبَرِ قَائِلًا:
لِذَلِكَ عَلَيْنَا أَنْ نَتَّبِعَ نَهْجَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَصَحَابَتِهِ الْكِرَامِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، وَلَا نَحِيدَ عَنْهُ أَبَدًا، وَنَدْعُوَ اللَّهَ دَائِمًا بِالثَّبَاتِ عَلَى ذَلِكَ، بِدُونِ إِفْرَاطٍ وَلَا تَفْرِيطٍ، بِدُونِ زِيَادَةٍ فِي الدِّينِ وَلَا نُقْصَانٍ.

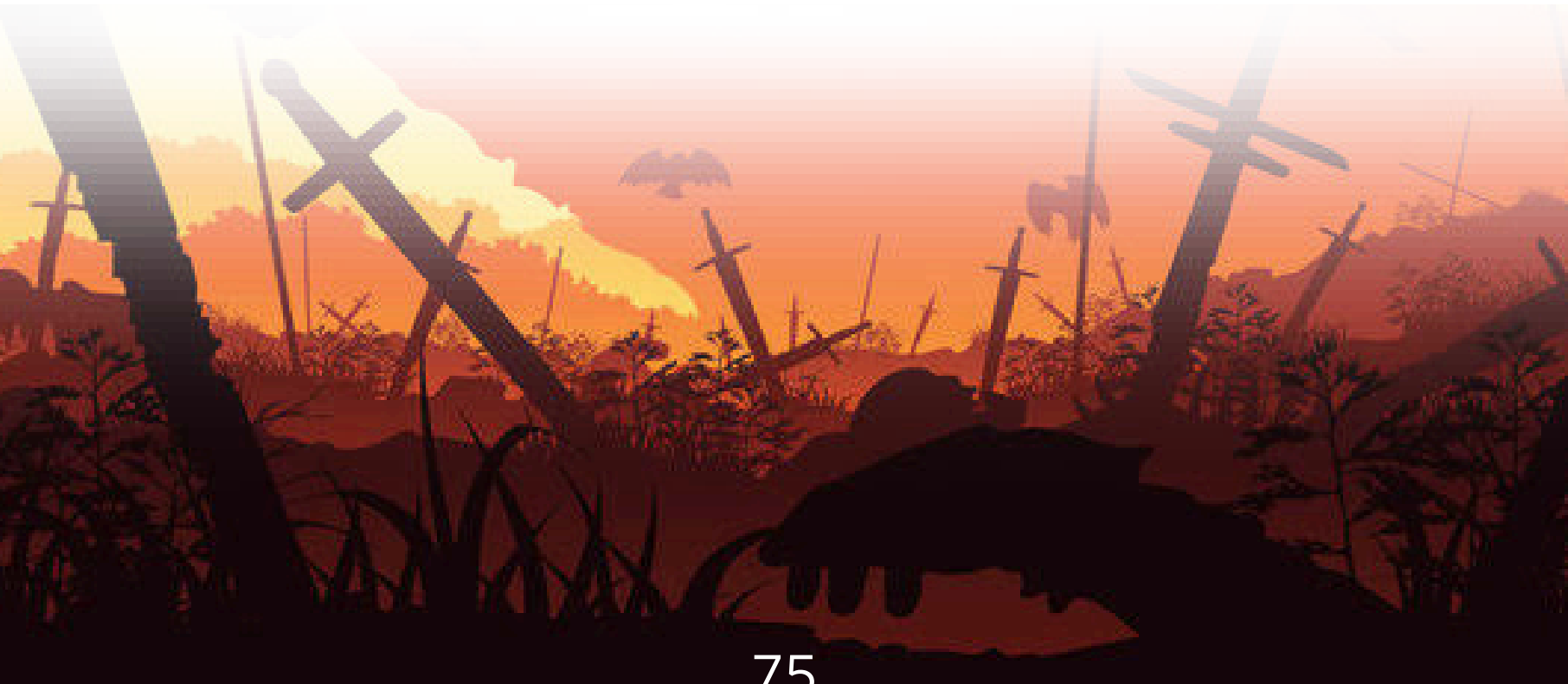

ثُمَّ تَوَقَّفَ قَائِلًا:
هَلْ مِنْ سُؤَالٍ قَبْلَ أَنْ نَخْتِمَ الدَّرْسَ؟

لاَحَظَ الأُسْتَاذُ، أَنَّ التَّلَامِيذَ لَا يَزَالُونَ يَنْتَظِرُونَ الْمَزِيدَ مِنَ الْقِصَصِ التَّارِيخِيَّةِ، وَأَعْيُنُهُمْ مُعَلَّقَةٌ بِهِ! فَصَاحَ:
_ هَيَّا اسْتَيْقِظُوا، اِنْتَهَى دَرْسُ التَّارِيخِ لِهَذَا الْيَوْمِ!

فَإِذَا بِالْجَرَسِ يَدُقُّ لِيُعْلِنَ عَنْ نِهَايَةِ الْحِصَّةِ.
فَقَالَ التَّلَامِيذُ:
_ عِنْ مَاذَا سَتُحَدِّثُنَا فِي الدَّرْسِ الْمُقْبِلِ؟

فَقَالَ الأُسْتَاذُ:
_ سَنَتَحَدَّثُ عَنْ نِهَايَةِ الْفِتْنَةِ وَكَيْفَ تَصَدَّى الصَّحَابَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ لِمَكْرٍ كَبِيرٍ جِدًّا، وَتَمَكَّنُوا مِنْ حِفْظِ وَحْدَةِ صَفِّ الْمُسْلِمِينَ فِي دَوْلَةٍ وَاحِدَةٍ. وَلَكِنْ إِلَى الْحِصَّةِ الْمُقْبِلَةِ أَنْتَظِرُ مِنْكُمْ تَلْخِيصَ مَا اسْتَفَدْنَاهُ مِنْ دَرْسِ الْيَوْمِ!

وَخَرَجَ التَّلَامِيذُ يَتَدَافَعُونَ عِندَ بَوَّابَةِ الْفَصْلِ وَهُمْ يَتَمْتِمُونَ بِقَوْلِ: "رَضِيَ اللَّهُ عَنْ صَحَابَةِ رَسُولِ اللَّهِ!"

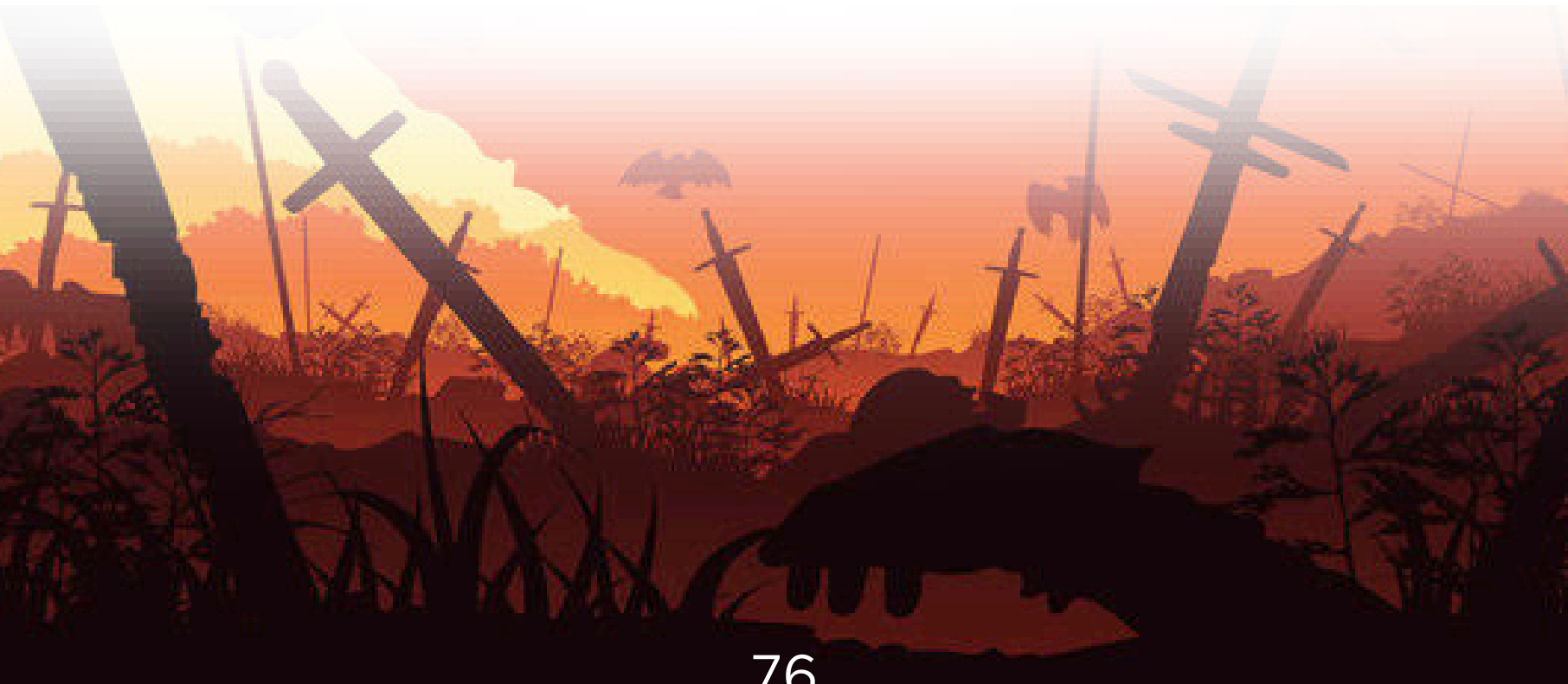

وَاحَةُ السُّنَّةِ

وصيّة رسول الله ﷺ لابن عبّاس

عن عبد الله بْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: "كُنْتُ خَلْفَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَوْمًا فَقَالَ:

"يَا غُلَامُ، إِنِّي أُعَلِّمُكَ كَلِمَاتٍ؛ احْفَظْ اللَّهَ يَحْفَظْكَ، احْفَظْ اللَّهَ تَجِدْهُ تُجَاهَكَ، إِذَا سَأَلْتَ فَاسْأَلِ اللَّهَ، وَإِذَا اسْتَعَنْتَ فَاسْتَعِنْ بِاللَّهِ، وَاعْلَمْ أَنَّ الأُمَّةَ لَوْ اجْتَمَعَتْ عَلَى أَنْ يَنْفَعُوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَنْفَعُوكَ إِلاَّ بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللَّهُ لَكَ، وَلَوْ اجْتَمَعُوا عَلَى أَنْ يَضُرُّوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَضُرُّوكَ إِلاَّ بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللَّهُ عَلَيْكَ، رُفِعَتْ الْأَقْلاَمُ وَجَفَّتِ الصُّحُفُ".

أمّة الإسلام وتداعي الأمم

بقلم أمة الرحمن

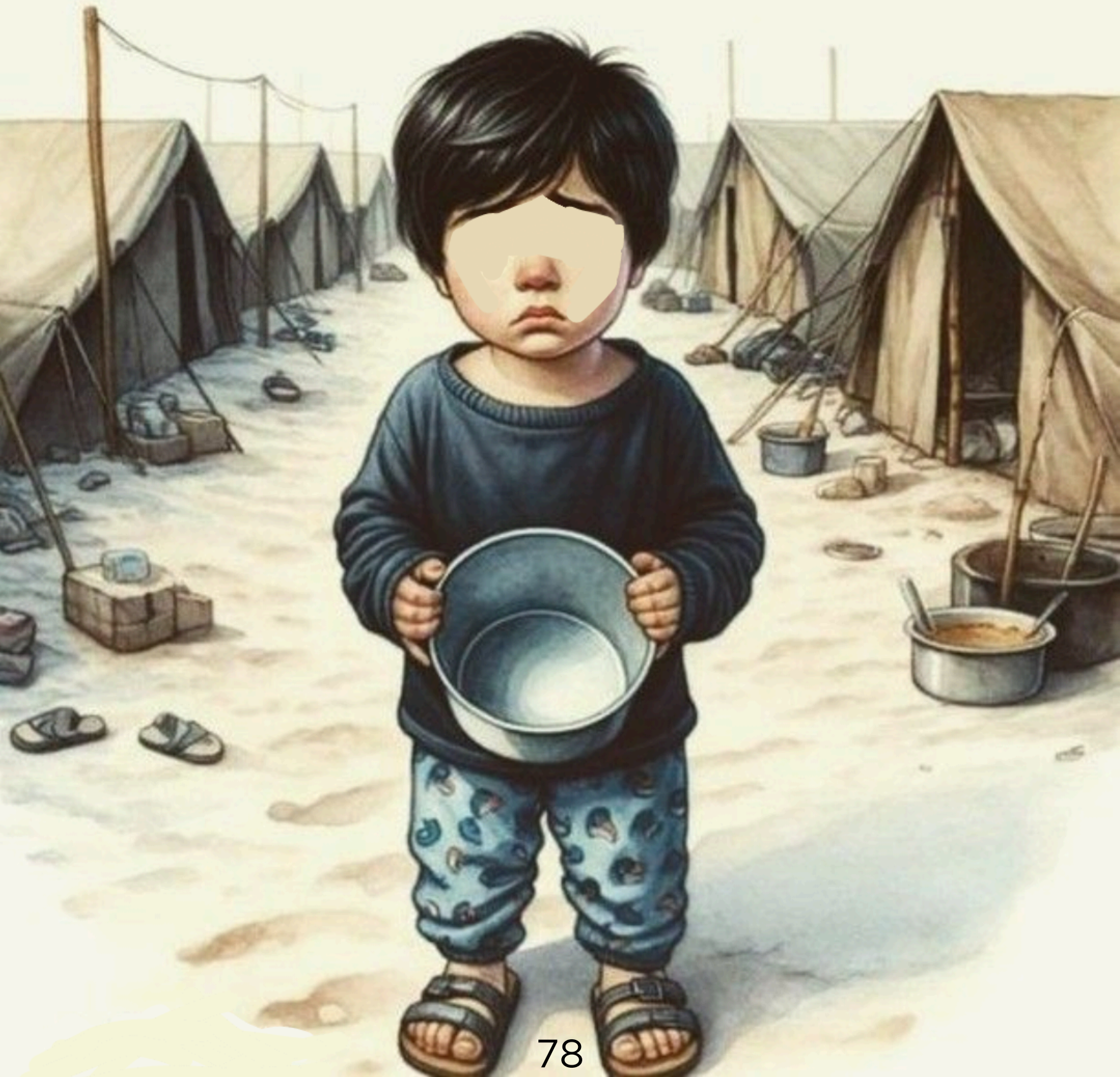

أُمَّةُ الإِسْلَامِ وَتَدَاعِي الأُمَمِ

لَاحَظَ عُمَرُ جَدَّهُ بَيْنَ كُومَةٍ مِنْ أَوْرَاقٍ وَأَقْلَامٍ، يَعُدُّ مَبَالِغَ مَالِيَّةً، ثُمَّ يَضَعُ كُلَّ مَبْلَغٍ مِنْهَا فِي ظَرْفٍ، وَيَكْتُبُ عَلَيْهِ كَلِمَةً، فَامْتَلَكَهُ الْفُضُولُ وَاقْتَرَبَ بِهُدُوءٍ، وَبَدَأَ يَقْرَأُ: "الرُّوهِينْجَا"، "غَزَّةُ"، "اليَمَنُ"....

تَعَجَّبَ عُمَرُ مِنْ فِعْلِ جَدِّهِ، فَسَأَلَهُ بِعَيْنَيْنِ يَغْلِبُ عَلَيْهِمَا الاسْتِفْهَامُ:

_ مَاذَا تَفْعَلُ يَا جَدِّي؟ وَلِمَ تَكْتُبُ هَذِهِ الأَسْمَاءَ هُنَا؟!

انْتَبَهَ الجَدُّ لِحَفِيدِهِ وَكَانَ مُسْتَغْرِقًا فِي تَقْسِيمِ الْمَالِ، فَقَالَ:

_ أَنْتَ هُنَا يَا عُمَرُ؟!

فَقَالَ عُمَرُ:

_ نَعَمْ يَا جَدِّي، كُنْتُ أَرَاكَ مُنْهَمِكًا بِمَا بَيْنَ يَدَيْكَ فَأَحْبَبْتُ أَنْ أُسَاعِدَكَ، وَلَكِنَّنِي لَمْ أَفْهَمْ شَيْئًا مِمَّا تَفْعَلُ؟

اسْتَدَارَ الجَدُّ إِلَى حَفِيدِهِ، وَيَدَاهُ مَا زَالَتَا مُنْشَغِلَتَيْنِ بِالْكِتَابَةِ وَجَمْعِ الأَوْرَاقِ، وَقَالَ لَهُ:

_ هَذِهِ الأَمْوَالُ يَا بُنَيَّ أَمَانَةٌ وَصَلَتْنِي مِنَ الْمُنْفِقِينَ مِنْ أَهْلِ الْخَيْرِ، كَيْ نُؤَدِّيَهَا إِلَى المُسْلِمِينَ فِي هَذِهِ المَنَاطِقِ.

مَلَأَتِ الدَّهْشَةُ وَجْهَ عُمَرَ، فَقَالَ لِجَدِّهِ مُسْتَفْسِرًا:

_ وَلَكِنْ يَا جَدِّي، لِمَاذَا يَحْتَاجُونَ إِلَى الْمَالِ؟ أَلَيْسَ لَدَيْهِمْ عَمَلٌ مِثْلَ أَبِي؟!

مسلمو

بورما

جرح نازف

تَنَهَّدَ الجَدُّ وَأَخَذَ نَفَسًا عَمِيقًا، وَقَالَ بِكَلِمَاتٍ مَلِيئَةٍ بِالْحُزْنِ وَالأَسَى:

ـ لأَنَّهُمْ يَا بُنَيَّ فِي حَالَةِ اسْتِضْعَافٍ، وَحَالَةِ نُزُوحٍ وَحَرْبٍ، فَهُمْ مُشَرَّدُونَ بِلَا مَأْوًى.

فَهَا هِيَ غَزَّةُ يُحَاصِرُهَا الْمُعْتَدِي الصَّهْيُونِيُّ، وَيَمْنَعُ عَنْهَا أَبْسَطَ الْحَاجِيَاتِ، وَهَا هُوَ الْيَمَنُ السَّعِيدُ الَّذِي لَمْ يَعُدْ سَعِيدًا، فَقَدْ دُمِّرَتْ فِيهِ الْبُيُوتُ، وَانْتَشَرَتْ فِيهِ الْمَجَاعَةُ وَالأَمْرَاضُ، وَهَؤُلَاءِ الرُّوهِينْجَا قَدْ شُرِّدُوا وَأُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ ظُلْمًا وَقَهْرًا.

كَانَتْ كَلِمَاتُ الجَدِّ تَقَعُ فِي قَلْبِ عُمَرَ فَتَزِيدُهُ حُزْنًا عَلَى أَحْوَالِ الْمُسْلِمِينَ، لَكِنَّهُ بَادَرَ جَدَّهُ بِسُؤَالٍ حَيَّرَهُ كَثِيرًا:

ـ وَلَكِنْ يَا جَدِّي لِمَاذَا يَبْقَى الْمُسْلِمُونَ فِي هَذَا الضَّعْفِ؟ أَلَيْسَ مِنَ الْمَفْرُوضِ أَنْ يَكُونُوا أَقْوِيَاءَ وَهُمْ عَلَى حَقٍّ؟!

ابْتَسَمَ الجَدُّ ابْتِسَامَةً لَا تَخْلُو مِنْ بَعْضِ الْحُزْنِ، وَقَالَ لِحَفِيدِهِ:

ـ مَا أَشْبَهَ سُؤَالَكَ بِسُؤَالِ صَحَابَةِ رَسُولِ اللهِ ﷺ يَا بُنَيَّ، فَقَدْ سَأَلُوا نَبِيَّهُمْ هَذَا، فَأَجَابَهُمْ قَائِلًا: "يُوشِكُ الأُمَمُ أَنْ تَدَاعَى عَلَيْكُمْ كَمَا تَدَاعَى الأَكَلَةُ إِلَى قَصْعَتِهَا"، فَقَالَ قَائِلٌ: أَوَمِنْ قِلَّةٍ نَحْنُ يَوْمَئِذٍ؟ قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: "بَلْ أَنْتُمْ يَوْمَئِذٍ كَثِيرٌ، وَلَكِنَّكُمْ غُثَاءٌ كَغُثَاءِ السَّيْلِ..."

كَانَ عُمَرُ يَسْتَمِعُ إِلَى جَدِّهِ بِاهْتِمَامٍ كَبِيرٍ، فَاسْتَوْقَفَهُ مُتَسَائِلًا:

ـ وَمَا هُوَ غُثَاءُ السَّيْلِ يَا جَدِّي؟!

فَقَالَ الجَدُّ:
ـ مَعْنَى ذَلِكَ أَنَّ الْمُسْلِمِينَ سَيَكُونُونَ كَثِيرِينَ فِي الْعَدَدِ، وَلَكِنْ بِلَا فَائِدَةٍ، كَالرَّغْوَةِ الَّتِي تَحْمِلُهَا السُّيُولُ تَمَامًا.

زَادَ انْدِهَاشُ عُمَرَ مِنْ هَذَا الْحَالِ، وَعَادَ إِلَى سُؤَالِ جَدِّهِ وَالْحُزْنُ بَادٍ عَلَى وَجْهِهِ:
ـ لِمَاذَا صِرْنَا ضُعَفَاءَ هَكَذَا يَا جَدِّي؟
فَأَجَابَهُ جَدُّهُ قَائِلًا:
ـ لَقَدْ أَجَابَنَا رَسُولُ اللهِ ﷺ عَنْ هَذَا، فَقَدْ قَالَ ﷺ: "وَلَيَنْزِعَنَّ اللهُ مِنْ صُدُورِ عَدُوِّكُمُ الْمَهَابَةَ مِنْكُمْ، وَلَيَقْذِفَنَّ اللهُ فِي قُلُوبِكُمُ الْوَهْنَ".
تَسَاءَلَ عُمَرُ بِفُضُولٍ:
ـ وَمَا هُوَ الْوَهْنُ يَا جَدِّي؟
فَقَالَ الجَدُّ:
ـ حُبُّ الدُّنْيَا وَكَرَاهِيَةُ الْمَوْتِ. فَعِنْدَمَا يَتَعَلَّقُ النَّاسُ بِدُنْيَاهُمْ، وَيَنْشَغِلُونَ بِهَا، وَيَنْسَوْنَ آخِرَتَهُمْ سَيَصِيرُونَ ضُعَفَاءَ، وَعَاجِزِينَ عَنْ نُصْرَةِ أَنْفُسِهِمْ.

سَادَ الصَّمْتُ قَلِيلًا، ثُمَّ عَادَ عُمَرُ إِلَى طَرْحِ أَسْئِلَتِهِ:
ـ وَكَيْفَ السَّبِيلُ لِرَفْعِ هَذَا الضَّعْفِ يَا جَدِّي؟ إِنَّهُ لَيُحْزِنُنِي أَنْ أَرَى الْمُسْلِمِينَ مُسْتَضْعَفِينَ وَمُشَرَّدِينَ فِي الأَرْضِ؟!
ابْتَسَمَ الجَدُّ وَلَمْ يُخْفِ سَعَادَتَهُ بِاهْتِمَامِ حَفِيدِهِ بِالْمَوْضُوعِ، ثُمَّ أَجَابَهُ بِكُلِّ حُبٍّ:

_ مَا أَعْظَمَ نَبِيَّنَا الكَرِيمَ يَا عُمَرُ، فَقَدْ شَخَّصَ لَنَا الدَّاءَ، وَأَعْطَانَا الدَّوَاءَ، فَقَالَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: "إِذَا تَبَايَعْتُمْ بِالْعِينَةِ، وَأَخَذْتُمْ أَذْنَابَ الْبَقَرِ، وَرَضِيتُمْ بِالزَّرْعِ، وَتَرَكْتُمْ الْجِهَادَ، سَلَّطَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ ذُلًّا لَا يَنْزِعُهُ حَتَّى تَرْجِعُوا إِلَى دِينِكُمْ".
فَالْحَلُّ فِي أَنْ نَرْجِعَ إِلَى دِينِنَا، وَأَنْ نَبْدَأَ بِأَنْفُسِنَا نُصْلِحُهَا وَنُصْلِحُ غَيْرَنَا، وَأَنْ نَلْتَزِمَ بِأَوَامِرِ اللهِ وَسُنَّةِ نَبِيِّهِ ﷺ، وَأَنْ نَتَوَحَّدَ جَمِيعًا كَأُمَّةٍ وَاحِدَةٍ فَلَا نَخْتَلِفَ.

تَهَلَّلَ وَجْهُ عُمَرَ، وَقَالَ بِحَمَاسٍ:

_ سَأَبْدَأُ بِنَفْسِي يَا جَدِّي، سَأُحْضِرُ لَكَ الْمَالَ الَّذِي ادَّخَرْتُهُ فِي حَصَالَتِي، وَسَأَدْعُو أَصْدِقَائِي لِفِعْلِ ذَلِكَ. نَحْنُ نُحِبُّ إِخْوَانَنَا الْمُسْلِمِينَ، وَسَنُسَاعِدُهُمْ وَنُدَافِعُ عَنْهُمْ دَائِمًا.

ابْتَسَمَ الجَدُّ ابْتِسَامَةً أَشْرَقَ لَهَا وَجْهُهُ وَقَالَ:

_ أَحْسَنْتَ يَا عُمَرُ، هَكَذَا هُمُ الْمُسْلِمُونَ الصَّادِقُونَ، يَسْعَوْنَ لِكُلِّ خَيْرٍ، وَيُحَرِّضُونَ النَّاسَ عَلَيْهِ. هَكَذَا تَنْتَصِرُ الأُمَّةُ يَا بُنَيَّ. أَسْأَلُ اللهَ أَنْ يُعِزَّ عُمَرَ بِالإِسْلَامِ وَيُعِزَّ الإِسْلَامَ بِعُمَر.

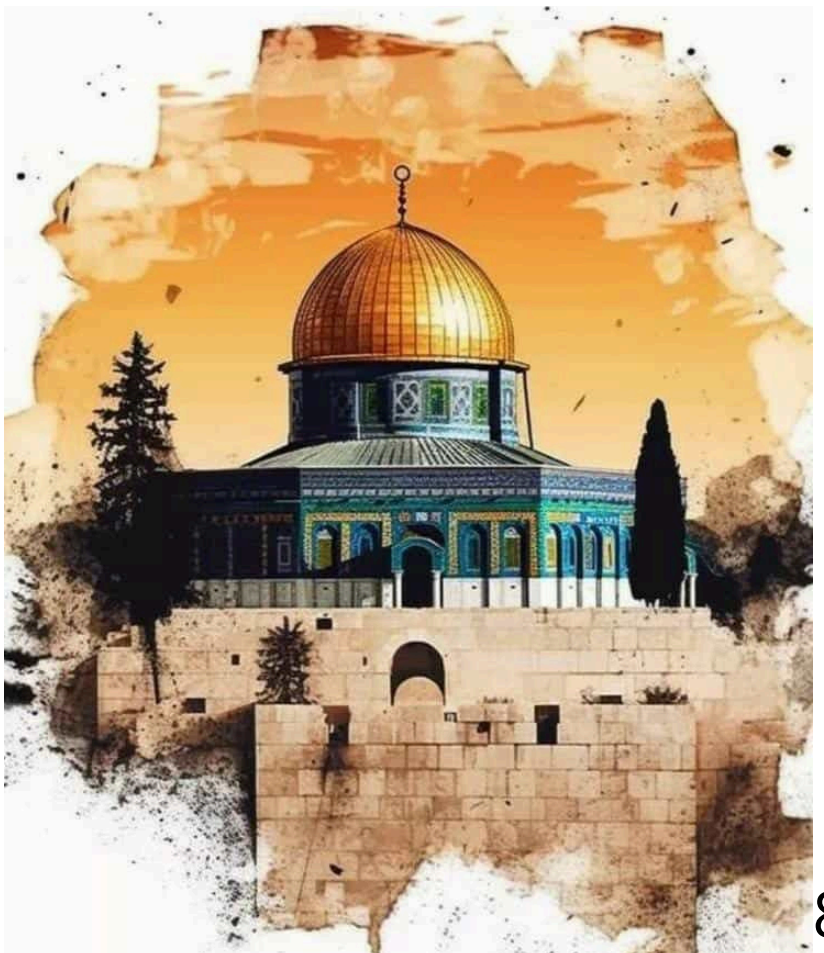

وَاحَةُ السُّنَّةِ

صِغَارٌ لكنّهم قادة

مِنْ أَشْهَرِ صِغَارِ الصَّحَابَةِ الَّذِينَ كَانَتْ لَهُمْ مَوَاقِفُ قِيَادِيَّةٌ عَظِيمَةٌ، وَفِي سِنٍّ صَغِيرَةٍ:

أُسَامَةُ بْنُ زَيْدٍ كَانَ عُمُرُهُ 18 سَنَةً.

سَعدُ بْنُ أَبِي وَقَّاصٍ كَانَ عُمُرُهُ 17 سَنَةً.

الْأَرْقَمُ بْنُ أَبِي الْأَرْقَمِ كَانَ عُمُرُهُ 16 سِتَّة سَنَةً.

طَلْحَةُ بْنُ عُبَيْدِ اللَّهِ كَانَ عُمُرُهُ 16 سَنَةً.

الزُّبَيْرُ بْنُ الْعَوَّامِ كَانَ عُمُرُهُ 15 سَنَةً.

زَيْدُ بْنُ ثَابِتٍ كَانَ عُمُرُهُ 17 سَنَةً.

فَأَيْنَ أَنْتُمْ يَا شَبَابَ الْأُمَّةِ؟!! اعْتَزِلُوا التَّفَاهَةَ وَكُونُوا أَمْثَالَ هَؤُلاءِ الْأَبْطَالِ.

منظومة تبيّن عقيدة أهل السّنّة و الجماعة للشيخ ابن تيمية

يا سَائِلي عَنْ مَذْهَبِي وعَقيدَتِي *** رُزِقَ الهُدى مَنْ لِلْهِدايةِ يَسْأَل

اِسْمَعْ كَلامَ مُحَقِّقٍ في قَولِهِ *** لا يَنْثَني عَنهُ ولا يَتَبَدَّلُ

حُبُّ الصَّحابَةِ كُلُّهُمْ لِي مَذْهَبٌ *** وَمَوَدَّةُ القُرْبى بِها أَتَوَسّلُ

وَلِكُلِّهِمْ قَدْرٌ وَفَضْلٌ ساطِعٌ *** لكِنَّما الصِّديقُ مِنْهُمْ أَفْضَلُ

وأُقِرُّ بِالقُرآنِ ما جاءَتْ بِهِ *** آياتُهُ فَهُوَ الكريمُ المُنْزَلُ

وجميعُ آياتِ الصِّفاتِ أُمِرُّها *** حَقاً كما نَقَلَ الطِّرازُ الأَوَّلُ

وأَرُدُّ عُقْبَتَها إلى نُقَّالِها *** وأَصُونُها عن كُلِّ ما يُتَخَيَّلُ

قُبْحاً لِمَنْ نَبَذَ الكتابَ وراءَهُ *** وإذا اسْتَدَلَّ يقولُ قالَ الأخطَلُ

والمؤمنون يَرَوْنَ حقاً ربَّهُمْ *** وإلى السَّماءِ بِغَيْرِ كَيْفٍ يَنْزِلُ

وأُقِرُّ بالميزانِ والحَوضِ الذي*** أَرجو بأَنِّي مِنْهُ رَيّاً أَنْهَلُ

وكذا الصِّراطُ يُمَدُّ فوقَ جَهَنَّمٍ *** فَمُوَحِّدٌ نَاجٍ وآخَرَ مُهْمِلُ

والنَّارُ يَصْلاها الشَّقيُّ بِحِكْمَةٍ *** وكذا التَّقِيُّ إلى الجِنَانِ سَيَدْخُلُ

ولِكُلِّ حَيٍّ عاقلٍ في قَبرِهِ *** عَمَلٌ يُقارِنُهُ هناك وَيُسْأَلُ

هذا اعتقادُ الشافِعيِّ ومالِكٍ *** وأبي حنيفةَ ثم أحمدَ يَنْقِلُ

فإِنِ اتَّبَعْتَ سبيلَهُمْ فَمُوَحِّدٌ *** وإنِ ابْتَدَعْتَ فَما عَلَيْكَ مُعَوَّل

مكتبة الطفل لجيل الخلافة